فاستمسك
fastamsek
دعوة للتمسك بالقرآن الكريم

معالم منهج تزكية النفوس في سورة المائدة

دراسة موضوعية تحليلية

إعداد
د. وليد خالد الربيع

معالم منهج تزكية النفوس
في سورة المائـدة

دراسـة موضوعية تحليليـة

إعـداد

د. وليـد خالـد الربيـع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[2] .

يمتن الله تعالى على عباده في هاتين الآيتين وغيرهما ببعثة النبي الكريم ﷺ الذي أنقذهم به من الضلالة وعصمهم به من الهلاك وأخرجهم به من ظلمات الشرك والكفر والجهل إلى نور الإسلام والإيمان والإحسان، وبيّن ـ سبحانه ـ أن من مهمات الرسول صلى الله عليه وسلم تعليم الناس آيات الله تعالى ببيان ألفاظها ومعانيها وأحكامها ، ومن أعظم وظائفه تزكية الناس من الشرك والمعاصي والرذائل وسائر مساوئ الأخلاق .

فتزكية النفوس وتطهيرها من سوء الاعتقادات وسوء الأخلاق من أعظم غايات البعثة كما قال ﷺ : "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[3] .

وتزكية النفوس هو تطهيرها وتطييبها وتنقيتها من القبائح والرذائل العقدية كالشرك والشك والشقاق والنفاق ، أو الأخلاقية كالجبن والبخل والحقد والحسد والظلم والكذب، وتجميلها بالفضائل ومحاسن الصفات التي وردت بها نصوص الكتاب والسنة .

والدين كله سبيل للتزكية ، فالشريعة الإسلامية بما فيها من اعتقادات وعبادات

---

(١) سورة الجمعة آية : ٢

(٢) سورة آل عمران آية : ١٦٤

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب حسن الخلق حديث (٢٧٤) وصححه الشيخ الألباني ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة(٤٥)

وأخلاق وأحكام شرعية في المجالات المختلفة كلها طريق لتزكية النفوس ، والتزام أحكام الدين في الظاهر والباطن ، في العلم والعمل ، في العبادات والمعاملات وسائر مجالات الحياة سبب لتزكية الأفراد والمجتمعات .

ويأتي هذا البحث الموجز لتأكيد هذا الأصل ببيان بعض معالم منهج القرآن في تزكية النفوس من خلال دراسة آيات سورة المائدة ومقاصدها .[1]

أهمية الموضوع :

تظهر أهمية التزكية في أمور كثيرة منها :

أولاً : تحقق التزكية المعرفة الحقيقية بالله تعالى ، والإيمان الكامل به ، والحب الخالص له، وهذا يوصل إلى غاية الإنسان في هذه الحياة التي قال تعالى عنها : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2] .

ثانياً : تحقق التزكية العبودية الخالصة لله تعالى ، والطاعة التامة له ، وهذا يوصل إلى تحقيق ما أمر به عباده كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴿٥﴾﴾[3] .

ثالثاً : تجعل التزكية المسلم مسلما حقا كما يحب الله تعالى له ويرضاه خالصا من الشوائب، بعيدا عن النفاق ، متخلقا بأخلاق القرآن الكريم والنبي العظيم ﷺ ، سالكا طريق الاستقامة واليقين ، مبتعدا عن طريق الشيطان الرجيم ، منتهجا نهج الصحابة والتابعين ، والعلماء الصالحين ، والمؤمنين

---

(١) وهو بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية – قسم التفسير وعلوم القرآن، جامعة المدينة العالمية بماليزيا تحت إشراف: الأستاذ المساعد الدكتور حاتم محمد منصور مزروعة حفظه الله

(٢) سورة الذاريات آية :٥٦

(٣) سورة البينة آية : ٥

الفائزين .

رابعاً : التزكية هي أهم المهام الأربع التي أوكلها الله تعالى لنبيه ﷺ ليؤديها إلى الناس ويدعوهم إليها كما قال تعالى : ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿١٦٤﴾﴾[١] .

خامساً :توصل التزكية الإنسان إلى مقامات عالية كحب الله تعالى له ورضاه عنه، قال تعالى:﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[٢]، وقال تعالى : ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[٣] .

سادساً :تحقق التزكية للإنسان السعادة والنجاح في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٤] .

سابعاً : تربي التزكية في الإنسان مراقبة الله تعالى وخشيته والخوف منه والعمل بأوامره والبعد عن نواهيه ، فيصبح هذا الإنسان وكأنه ملك يمشي على الأرض .[٥]

مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على الأسئلة الآتية :

هل اشتملت سورة المائدة على منهج لتزكية النفوس ؟

ما معالم منهج تزكية النفوس الذي اشتملت عليه سورة المائدة ؟

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٤

(٢) سورة المائدة آية : ٥٤

(٣) سورة البينة آية :٨

(٤) سورة النازعات الآيات:٣٧-٤١

(٥) خير فاطمة ، محمد ،٢٠٠٣م.منهج الإسلام في تزكية النفس .دمشق:دار الخير للطباعة،ط١،ص٣٦

أهداف البحث :

يسعى هذا البحث الموجز لتحقيق جملة من الأهداف والغايات منها :

١. تقرير جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز التربوي ، حيث يتناول أعلى مقصد من مقاصد القرآن الكريم ، وهو تحقيق صلاح الإنسان في أحواله الفردية والاجتماعية والعالمية ، وإيضاح ذلك من خلال دراسة سورة المائدة كأنموذج لبقية سور القرآن الكريم .

٢. بيان ما اشتملت عليه سورة المائدة من وسائل لتزكية النفوس ، عقدية وعملية ، بأساليب متنوعة ، وكلها تتسق في نظام واحد وهو تحقيق تزكية نفوس المكلفين .

سبب اختيار سورة المائدة :

١. إن هذه السورة الكريمة من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم ، فعن جبير بن نفير(١) قال : حججت فدخلت على عائشة – رضي الله عنها – فقالت لي : " يا جبير تقرأ المائدة ؟" فقلت : نعم ، قالت : "أما إنها آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه ".(٢)

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – قال : "آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح"(٣)، ففيها جملة من الأحكام الشرعية التي أحكمت واستقرت وقام عليها التشريع الإسلامي ، كما أن معالم منهج تزكية النفوس قد اتضحت وأقرت.

(١) جبير بن نفير. بنون وفاء مصغرا. ابن مالك بن عامر الحضرمي الحمصي ، ثقة جليل ، مخضرم ، ولأبيه صحبة ، توفي سنة ٨٠هـ (تقريب التهذيب١/١٢٦)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ٢/٣١١ ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/٥٤

(٣) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن ،باب (ومن سورة المائدة)حديث (٣٠٦٣) والحاكم في المستدرك ٢/٣١١ وصححه ووافقه الذهبي

٢. الشمول والتنوع الذي تميزت به سورة المائدة حيث تناولت الكثير من الأحكام الشرعية في أبواب مختلفة ؛ العقائدية والعملية والأخلاقية .

٣. إن سورة المائدة قد دلت على كمال الدين وتمام الشريعة في قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[١]، مما يدل على تميز هذه السورة الكريمة لاشتمالها على هذه الكرامة والبشرى العظيمة .

لهذه الأسباب آثرت اختيار سورة المائدة ودراسة بعض ما جاء فيها من منهج تزكية النفوس في مظاهره المختلفة، للتأكيد على تحقق هذا المقصد العظيم في جميع سور القرآن العظيم ، وبيان أن القرآن الكريم - في جميع سوره - قد تناوله بالتقرير والإيضاح بأسلوب معجز، وبلاغة محكمة .

الدراسات السابقة :

لم أقف - بحسب إطلاعي المتواضع - على بحث مستقل تناول موضوع (معالم منهج تزكية النفوس في سورة المائدة) على وجه الخصوص ، وإنما الدراسات السابقة ذات الصلة بهذا الموضوع فهي دراسات تناولت التفسير الموضوعي والتحليلي لسورة المائدة ، منها على سبيل المثال :

١. **من أحكام سورة المائدة ، للدكتور سعيد بن علي القحطاني**[٢].

تناول المؤلف فيه مقدمات حول السورة في معرفة سبب نزولها ، وأغراضها، ثم فسر الآيات الخمس الأول منها لأهمية ما اشتملت عليه من أحكام .

---

(١) سورة المائدة آية :٣

(٢) القحطاني، سعيد بن علي ، ١٤٠٩هـ ، من أحكام سورة المائدة ، الرياض ، مؤسسة الجريسي ط١

٢. **إعلام ذوي الأفئدة بأحكام سورة المائدة ، للدكتور عبد العظيم بن بدوي.**[١]
بين فيه المؤلف معاني سورة المائدة وما جاء فيها من أحكام عقدية وعملية وأخلاقية .

٣. **تفسير آيات الأحكام في سورة المائدة ، للدكتور سليمان اللاحم.**[٢]
تناول المؤلف في هذه الدراسة تفسير آيات الأحكام من حيث ذكر ما يظهر بلا تكلف من المناسبات بين الآيات ، والصحيح من أسباب النزول ، وبيان معاني المفردات والجمل والآيات مع اختيار أصح الأقوال وأعمها ، وما تحتمله دلالة الآية وسياقها ، معتمدا على مصادر التفسير المعتمدة ، مع استنباط ما أمكن من الفوائد والأحكام والحكم والدروس التربوية من الآيات .

وكل هذه الدراسات المذكورة جهود مشكورة ، ومساهمات مباركة في تقرير جوانب مختلفة من العلم الشرعي ، وهذا البحث سيقوم ـ بإذن الله تعالى ـ بتكميل هذا الصرح العلمي الشامخ بإضافة لبنة متواضعة ، حيث سيتناول جانبا مهما من جوانب الشريعة الإسلامية المطهرة ، وهو جانب تزكية النفوس ، وبيان بعض معالم منهج القرآن في تزكية النفوس ، من خلال دراسة سورة المائدة الكريمة ، وإبراز معالم هذا المنهج كما وردت في آياتها المختلفة ، حيث خلت الدراسات السابقة من هذا الجانب كما ظهر لي من الاطلاع عليها ، ولم أقف على من تناول هذا الموضوع تحديدا من قبل ، والله أعلم .

منهج البحث :

سأتبع في هذا البحث ـ بإذن الله تعالى ـ المنهج الاستقرائي الوصفي ، الذي يعتمد

(١) بدوي،عبد العظيم،٢٠٠٩م.إعلام ذوي الأفئدة بأحكام سورة المائدة .القاهرة: دار ابن رجب،دار الفوائد، ط١.
(٢) اللاحم ، سليمان بن إبراهيم،٢٠٠٣م، تفسير آيات الأحكام في سورة المائدة،الرياض، دار العاصمة، ط١

على بيان ماهية تزكية النفوس أولاً ، ثم تتبع آيات سورة المائدة التي يظهر لي أن لها أثرا في تزكية النفوس ، وترتيب تلك الآيات حسب خطة البحث في فصول ومباحث ومطالب تبرز معالم منهج القرآن في تزكية النفوس .

ولتحقيق ذلك سأقوم بما يأتي :

- الرجوع إلى المصادر والمراجع الأصلية غالبا، مع الاستعانة بالدراسات المعاصرة والحديثة ذات الصلة بموضوع البحث .
- بيان موضع الآيات القرآنية في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية بالهامش.
- تخريج الأحاديث النبوية من مراجعها الأصلية ، والحكم عليها بما حكم به علماء الحديث ، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بذلك .
- توثيق المعلومات الواردة في البحث بعزوها إلى مصادرها تحقيقا للأمانة العلمية.
- وضع فهرس للمراجع والمصادر ، وفهرس للموضوعات، في آخر البحث .

خطة البحث :

تنقسم خطة البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة على النحو الآتي :

- المقدمة : وتتناول بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهجه.
- التمهيد : في تعريف تزكية النفوس، وفيه مبحثان :
  - المبحث الأول : تعريف تزكية النفوس باعتبار طرفيه .
  - المبحث الثاني : تعريف تزكية النفوس باعتباره لقباً .
- الفصل الأول : معالم منهج تزكية النفوس من خلال ترسيخ الإيمان وتصحيح

الاعتقاد، وفيه مبحثان :

- المبحث الأول: ترسيخ الإيمان وأثره في تزكية النفوس .
- المبحث الثاني: تصحيح الاعتقاد وأثره في تزكية النفوس .

• الفصل الثاني : معالم منهج تزكية النفوس من خلال القصص والأخبار .

• الفصل الثالث : معالم منهج تزكية النفوس من خلال الحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات .

- المبحث الأول: الحث على التقوى.
- المبحث الثاني: خشية الله تعالى من معالم منهج تزكية النفوس.
- المبحث الثالث:الشكر اعتقادا وقولا وعملا من معالم منهج تزكية النفوس.
- المبحث الرابع:التوكل على الله وحده من معالم منهج تزكية النفوس.
- المبحث الخامس: التوبة من معالم منهج تزكية النفوس.
- المبحث السادس: العدل من معالم منهج تزكية النفوس.
- المبحث السابع: الصدق من منهج تزكية النفوس.
- المبحث الثامن:الذنوب سبب للعقوبات المادية والمعنوية، العاجلة والآجلة.
- المبحث التاسع: البعد عن المعاصي والمآثم من منهج تزكية النفوس.
- المبحث العاشر: البعد عن الفساد والإفساد من منهج تزكية النفوس.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد لتحقيق أهداف هذا البحث ، وتقديم نتائج ينتفع بها كل من يطلع على هذا البحث ، وأسأله تعالى أن يحفظني من الزلل في الاعتقاد والقول والعمل .

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تمهيد في تعريف تزكية النفوس

يتناول هذا التمهيد بيان معنى تزكية النفوس في اللغة والاصطلاح ، وذلك لأهمية تحديد حقيقة المصطلح قبل بيان ما يتعلق به من أحكام وآثار ، وقد قيل : " الحكم على الشيء فرع عن تصوره " فلابد لكل من طلب علماً أن يتصوره بوجه ما ، فمن لم يتصوره أو فهمه على غير وجهه لم يتمكن من إثابته ولا نفيه[1] ، وحيث إن مصطلح (تزكية النفوس) مركب إضافي فلابد من بيان حقيقته وتعريفه باعتبار طرفيه أولاً ثم يذكر تعريفه باعتباره لقبا على فن مخصوص ، وذلك في المبحثين الآتيين :

المبحث الأول : تعريف تزكية النفوس باعتبار طرفيه :

(تزكية النفوس) مركب إضافي مكون من كلمتين ؛ كلمة (تزكية) وكلمة (النفوس)، وسيعرض هذا المبحث لبيان معنى كل كلمة على حدة في اللغة وفي الاصطلاح ، وذلك لمعرفة حقيقتهما اللغوية واستعمالاتهما الشرعية كما وردت في النصوص الشرعية، وذلك في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : تعريف التزكية في اللغة والاصطلاح :

- **أولاً : تعريف التزكية في اللغة :**

التزكية في اللغة من الفعل زكا يزكو ، جاء في المصباح المنير: "الزكاء بالمد النماء والزيادة، يقال: زكا الزرع والأرض تزكو زكوا من باب قعد ، وأزكى بالألف مثله ، وسمي القدر المخرج من المال زكاة لأنه سبب يرجى به الزكاة ، وزكى الرجل ماله بالتشديد تزكية، والزكاة اسم منه ، وأزكى الله المال وزكاه بالألف والتثقيل ، وإذا نسبت إلى الزكاة وجب حذف الهاء وقلب الألف واوا فيقال :زكوي، كما يقال في

(١) ابن النجار، محمد بن إسماعيل ١٩٩٣هـ.شرح الكوكب المنير ، تحقيق د. محمد الزحيلي، د.نزيه حماد ، الرياض: مكتبة العبيكان ١/ ٥٠

النسبة إلى حصاة حصوي لأن النسبة ترد إلى الأصول، وزكا الرجل يزكو إذا صلح ، وزكيته بالتثقيل نسبته إلى الزكاء وهو الصلاح" .اهـ[1]

وأصل هذه المادة اللغوية يرجع إلى معنيين ؛ الأول النماء والزيادة ، والثاني الطهارة ، كما قال العلامة ابن فارس[2] ـ رحمه الله ـ : "الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال الطهارة زكاة المال، قال بعضهم:سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال ،وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضهم: سميت زكاة لأنها طهارة ، قالوا : وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾﴾[3] والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين ، وهما النماء والطهارة ، ومن النماء : زرع زاكٍ بيِّن الزكاء، ويقال هو أمر لا يزكو بفلان، أي: لا يليق به" اهـ[4]

ومن معاني الزكاة في اللغة الصلاح كما جاء في لسان العرب : "الزَّكاةُ الصلاحُ ورجل تقيٌّ زَكِيٌّ أَي زاك من قوم أَتْقياء أَزْكياء ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾[5]؛ قال: بعضُهم الذين هم للزكاة مُؤْتُون، وقال آخرون: الذين هم للعمل الصالح فاعلُون، وقوله تعالى : ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾[6]،أَي: خيراً منه عملاً صالحاً، وقال الفراء:" زَكاةً صلاحاً " اهـ[7]

(١) الفيومي،أحمد بن محمد بن علي،١٩٨٧م.المصباح المنير .بيروت: مكتبة لبنان .مادة زكاء ص٩٧،وانظر :الفيروزآبادي،محمد بن يعقوب،١٩٨٧م. القاموس المحيط .بيروت: مؤسسة الرسالة،ط٢، مادة زكا ص١٦٦٧

(٢) ابن فارس: هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي من أهل قزوين، وسكن الري ، صاحب كتاب المجمل في اللغة ، وفقه اللغة ، ومتخير الألفاظ ، قرأ عليه بديع الزمان أحمد الهمذاني ، وكان شافعي المذهب ، عارفا باللغة والنحو ، انتقل إلى مذهب مالك في آخر عمره ، من تصانيفه : معجم مقاييس اللغة ، وفتيا فقيه العرب ، توفي سنة ٣٩٥هـ (الأعلام للزركلي ١/ ١٨٤، شذرات الذهب ٣/ ١٣٢)

(٣) سورة التوبة الآية : ١٠٣

(٤) ابن فارس،أحمد بن فارس بن زكريا،١٩٦٩م.معجم مقاييس اللغة.القاهرة:مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،ط٢. مادة زكى٣/ ١٧

(٥) سورة المؤمنون الآية: ٤

(٦) سورة الكهف الآية : ٨١

(٧) ابن منظور ، محمد بن مكرم،١٤٠٥هـ.لسان العرب،إيران: نشر أدب الحوزة.مادة زكا١٤/ ٣٥٨

- **ثانياً : تعريف التزكية في الاصطلاح:**

وأما في الاصطلاح الشرعي فإن لفظ التزكية في القرآن الكريم يدور حول المعاني اللغوية المتقدمة ، قال الراغب الأصفهاني[1] في مفردات ألفاظ القرآن : " أصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية، يقال زكا الزرع يزكو: إذا حصل منه نمو وبركة ، وقوله : ﴿ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾[2] إشارة إلى ما يكون حلالاً لا يستوخم عقباه ، ومنه الزكاة: لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس، أي تنميتها بالخيرات والبركات ، أو لهما جميعا ، فإن الخيرين موجودان فيها ، وقرن الله تعالى الزكاة بالصلاة في القرآن بقوله : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[3]،وبزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة ، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره ، وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسبا لذلك ، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾[4]، وتارة ينسب إلى الله تعالى لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة نحو: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾[5]، وتارة إلى النبي ﷺ لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[6]، ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ﴾[7]، وتارة إلى العبادة التي هي آلة في

(١) الراغب : هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني ، أديب لغوي حكيم مفسر من أهل أصفهان ، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي ، من تصانيفه : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، والمفردات في غريب القرآن ، توفي سنة ٥٠٢هـ(الإعلام ٢/٥٥)

(٢) سورة الكهف آية :١٩

(٣) سورة البقرة آية :٤٣

(٤) سورة الشمس آية : ٩

(٥) سورة النساء آية :٤٩

(٦) سورة التوبة آية :١٠٣

(٧) سورة البقرة آية : ١٥١

ذلك ، نحو: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾[1]، ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[2] أي: مزكى بالخلقة، وذلك على طريق ما ذكرنا من الاجتباء.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾[3] أي: يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكيهم اللّه ، أو ليزكوا أنفسهم ، والمعنيان واحد ،وتزكية الإنسان نفسه ضربان :

أحدهما : بالفعل،وهو محمود وإليه قصد بقوله : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[4] .

والثاني بالقول ، كتزكية العدل غيره ، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه ، وقد نهى اللّه تعالى عنه فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[5]، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلا وشرعا ، ولهذا قيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقا ؟ فقال : مدح الرجل نفسه" اهـ[6]

وقد ثبت في تفسير التزكية عن رسول اللّه ﷺ فيما رواه الطبراني[7] في (المعجم الصغير) وغيره عن عبد اللّه بن معاوية الغاضري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللّه ﷺ قال: "ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لا إِله إِلا هُوَ ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَاله طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ ...وَزَكَّى نَفْسَهُ" ، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: " أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ "[8].

---

(١) سورة مريم آية :١٣

(٢) سورة مريم آية :١٩

(٣) سورة المؤمنون آية :٤

(٤) سورة الشمس آية :٩

(٥) سورة النجم آية :٣٢

(٦) الأصفهاني ، الحسين بن الفضل ،١٩٩٢م.مفردات ألفاظ القرآن.دمشق:دار القلم ،ط١.مادة زكا ص٣٨٠

(٧) الطبراني : هو سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، من طبرية بفلسطين ، ولد بعكا ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر وغيرهما ، له ثلاثة معاجم «المعجم الصغير»، و« والمعجم الأوسط»، و«المعجم الكبير» وكلها في الحديث ، وله تفسير ودلائل النبوة ، توفي سنة ٣٦٠هـ(تذكرة الحفاظ٣/٩١٢)

(٨) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ص١١٥ ، والبيهقي في السنن٤/٩٥ وإسناده صحيح ،انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني حديث(١٠٤٦)

فالتزكية في الاصطلاح :هي تطهير القلب و تنمية الإيمان ، وهي عنصر أساس من عناصر الدين ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] ـ رحمه الله ـ: " والتزكية جعل الشيء زكيا : إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر ، كما يقال: عدلته إذا جعلته عدلا في نفسه أو في اعتقاد الناس، قال تعالى : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[2] أي تخبروا بزكاتها ، وهذا غير قوله : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[3]ولهذا قال : ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[4]،والمراد بها في الشرع: تطهير النفوس وإصلاحها بالعلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المنهيات."[5]

المطلب الثاني : تعريف النفس في اللغة والاصطلاح :

- **أولاً : تعريف النفس في اللغة :**

تطلق النفس في اللغة على عدة معان ، من أبرزها :

١- النفس بمعنى الروح ، يقال: خرجت نفس فلان ، أي: روحه.

٢- النفس بمعنى ذات الشيء وحقيقته ، تقول : قتل فلان نفسه ، وأهلك نفسه ،أي: أوقع الإهلاك بذاته كلها ، فالنفس هنا تطلق على الإنسان جميعه ، ونفس الشيء : ذاته.

٣- النفس بمعنى العقل والتمييز ، روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : " لكل

(١) ابن تيمية : هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، تقي الدين الإمام شيخ الإسلام ، ولد بحران وانتقل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر ، وسجن بمصر مرتين من اجل فتاواه ، وتوفي بقلعة دمشق معتقلا ، كان داعية إصلاح في الدين ، آية في التفسير والحديث والعقائد والأصول ، فصيح اللسان ، مكثرا من التصانيف ، من تصانيفه السياسة الشرعية ، ومنهاج السنة النبوية ، توفي سنة ٧٢٨هـ(تذكرة الحفاظ١٤٩٦/٤، الأعلام١٤٤/١)

(٢) سورة النجم الآية: ٣٢

(٣) سورة الشمس الآية: ٩

(٤) سورة النجم الآية: ٣٢

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم،مجموع الفتاوى .المملكة العربية السعودية ٩٧/١٠

إنسان نفسان: إحداهما نفس العقل التي يكون به التمييز ، والأخرى نفس الروح التي به الحياة " .

٤- النفس بمعنى الدم ، وسمي بذلك لأن النفس تخرج بخروجه .[١]

- **ثانياً : تعريف النفس في الاصطلاح :**

أما معنى النفس في الاصطلاح الشرعي ، فقد ورد لفظ (النفس) في القرآن الكريم في مواضع عديدة ، وتعددت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها ، ولكن يمكن إجمال هذه المعاني في المجالات الخمسة التالية :

١. النفس بمعنى الروح : ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾[٢] أي: أخرجوا أرواحكم .

٢. النفس بمعنى الإنسان كله روحا وجسدا ، ومنه قوله تعالى : ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[٣] أي:إن خلق جميع الناس وبعثهم بالنسبة إلى قدرة الله سبحانه كمثل خلق إنسان واحد، فالجميع هين عليه سبحانه.

٣. النفس بمعنى القوى المفكرة في الإنسان ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٤]، فاليقين الذي هو إدراك عملي نسب إلى النفس .

٤. النفس بمعنى القلب ، وما يتصل به من الصدر والفؤاد وغيرهما ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[٥].

---

(١) انظر ابن منظور (مرجع سابق) مادة (نفس)٦/٢٣٣، الفيومي (مرجع سابق) مادة (نفس)ص٢٣٦

(٢) سورة الأنعام آية :٩٣

(٣) سورة لقمان آية: ٢٨

(٤) سورة النمل آية:١٤

(٥) سورة الأعراف آية : ٢٠٥

٥. النفس بمعنى قوى الخير والشر في الإنسان : وهذه النفس لها صفات وخصائص كثيرة، فهي تحب وتكره ، وتسول وتوسوس ، وتنوي وتعزم ، كما ترشد صاحبها إلى طريق الخير وتلومه على فعل الشر ، ولهذه النفس آثار ظاهرة في السلوك الإنساني .

ومعظم آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر (النفس) يقصد بها هذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾[١]،وقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٢].

ويمكن تحديد تعريف النفس بأنها : شيء داخلي في كيان الإنسان ، لا تدرك ماهيته ، قابل للتوجه إلى الخير أو الشر ، وجامع لكثير من الصفات والخصائص الإنسانية التي لها آثار ظاهرة في السلوك الإنساني .[٣]

المبحث الثاني : تعريف تزكية النفوس باعتباره لقبا :

تزكية النفوس من مقاصد الرسالة ، ومن وظائف الرسل كما قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٤]، وقال النبي ﷺ : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [٥] ، وقد بذل العلماء والدعاة جهودا عظيمة في تقرير هذا المعنى في نفوس المسلمين ، والدعوة

(١) سورة ق آية :١٦

(٢) سورة النازعات الآيات : ٤٠-٤١

(٣) انظر الأصفهاني (مرجع سابق) مادة نفس ص ٨١٨ ،الميداني ، عبد الرحمن حسن ، ١٩٩٦م.الأخلاق الإسلامية وأسسها.دمشق:دار القلم ط٤. ٢٢٩/١، كرزون،أنس أحمد .منهج الإسلام في تزكية النفس .بيروت:دار ابن حزم ،دار نور المكتبات ص١٣-١٦

(٤) سورة الجمعة آية :٢

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب حسن الخلق حديث (٢٧٤) وصححه الشيخ الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة(٤٥)

إليه، وبيان وسائله وآثاره بوسائل شتى ، وأساليب مختلفة، ومن ذلك تخصيص مؤلفات لهذا الباب تتناول مباحثه ومسائله ، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة مثل : الرقائق ، والزهد ، والسلوك ، والآداب، والأخلاق ، ومنهم ـ لاسيما المتأخرين ـ من أطلق عليه اسم (تزكية النفس) ، وهنا ذكر لبعض من عرف (تزكية النفس) باعتباره لقبا لفن مخصوص .

فقد عرفها د. أنس أحمد كرزون التزكية بأنها : تطهير النفس من نزغات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها مما يؤدي إلى استقامتها وبلوغها درجة الإحسان .

ويؤكد هذا المعنى أن رسول الله ﷺ فسر التزكية ببلوغ مرتبة الإحسان فقال ﷺ: "ثلاث من فعلن فَقَدْ ذَاقَ طعْمَ الإيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِه طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ... وَزَكَّى نَفْسَهُ" ، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: "أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ" .(١)

ولابد من التأكيد هنا أنه ليس المراد بتزكية النفس اقتلاع الأوصاف المذمومة منها ،لأن هذا يخالف طبيعة النفس وصفاتها وخصائصها التي خلقها الله عليها ، وإنما المقصود غلبة صفات الخير ، وضبط صفات الشر وتوجيهها بما يرضي الله سبحانه ، وبذلك يتم تطهير النفس من نزعات الشر والإثم ، وتخليها عن الأخلاق المذمومة وتحليها بالأوصاف المحمودة حتى يبلغ المسلم درجة الإحسان .(٢)

وقال د. أحمد فريد: " يقصد بها ـ أي : التزكية ـ تنمية القلوب وإصلاحها وتطهيرها ، يقولون :زكا الزرع إذا نما وصلح وبلغ كماله ، وسميت صدقة المال الواجبة

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ص١١٥ ، والبيهقي في السنن٤/٩٥ وإسناده صحيح ،انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني حديث(١٠٤٦)

(٢) كرزون ، مرجع سابق، ص١٢

زكاة لأن المال يطهر بها وينمو ، فهي طهارة للمال وطهارة للمزكي وطهارة للمجتمع ، وعكس التزكية التدسية : وهي التصغير والتحقير حتى تصير النفس حقيرة دنيئة لا تكاد ترى من حقارتها ودناءتها ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ﴾[1] أي : يخفيه في التراب ، وقد أقسم الله تعالى في كتابه أحد عشر قسما متواليا على أن صلاح العبد منوط بتزكية نفسه ، وخيبته منوطة بتدسية نفسه قال تعالى : ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ إلى قوله تعالى :﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[2] "اهـ[3]

يقول الشيخ الغزالي عن التزكية : " هي أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية، بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس وتهذيب الطباع وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تسف به وتعرج ".[4]

فهذه بعض التعريفات المعاصرة لتزكية النفوس وكلها تدور حولها تنقية النفوس من الآفات، وتجميلها بالطيبات، إخلاصا لله تعالى ، واقتداء برسول الله ﷺ، بسلوك الطرق الشرعية، واجتناب السبل البدعية .

---

(١) سورة النحل آية :٥٩

(٢) سورة الشمس الآيات : ١-١٠

(٣) فريد، أحمد .التزكية بين أهل السنة والصوفية ، ص٧

(٤) محمد، أبو البراء سعد،١٤١٠هـ . تزكية النفس .المملكة العربية السعودية: مطابع الفرزدق التجارية، ص١٣، نقلا من بحث للشيخ محمد الغزالي. رحمه الله. بعنوان (نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع) ص١، ضمن بحوث خبراء أسس التربية الإسلامية .

الفصل الأول

معالم منهج تزكية النفوس من خلال ترسيخ الإيمان وتصحيح الاعتقاد

تقدم أن تزكية النفوس وتطهيرها من فساد الاعتقادات وسوء الأخلاق من أعظم غايات البعثة كما قال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[1] .

وتزكية النفوس هو تطهيرها وتطييبها وتنقيتها من القبائح والرذائل العقدية كالشرك والشك والشقاق والنفاق ، أو الأخلاقية كالجبن والبخل والحقد والحسد والظلم والكذب، وتجميلها بالفضائل ومحاسن الصفات التي وردت بها نصوص الكتاب والسنة .

والدين كله سبيل للتزكية ، فالشريعة الإسلامية بما فيها من اعتقادات وعبادات وأخلاق وأحكام شرعية في المجالات المختلفة كلها طريق لتزكية النفوس ، والتزام أحكام الدين في الظاهر والباطن، في العلم والعمل، في العبادات والمعاملات وسائر مجالات الحياة سبب لتزكية الأفراد والمجتمعات .

وهذا الفصل يسلط الضوء على جانب من معالم منهج القرآن في تزكية النفوس ، وذلك ببيان أثر الإيمان وتصحيح الاعتقاد في تزكية النفس البشرية من أدران الاعتقادات الفاسدة وما يتبعها من أخلاق سيئة ، من خلال دراسة آيات سورة المائدة الكريمة وتحديد المواضع التي تضمنت هذين المعنيين واستنباط ما فيها من معان ومقاصد تقرر هذه الحقيقة ، وذلك من خلال المبحثين الآتيين :

المبحث الأول : ترسيخ الإيمان وأثره في تزكية النفوس:

الإيمان بالله تعالى أقوى الأسس التي تعتمد عليها المسؤولية الخلقية في الإسلام ،

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب حسن الخلق حديث (٢٧٤) وصححه الشيخ الألباني ،انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة(٤٥)

لأن المطالبة بالتزام الفضائل الخلقية ، واجتناب الرذائل لا يتحقق إلا باعتقاد جازم يحمل على العمل ، ولأن المحاسبة على الفعل أو الترك لا تتصور شعورا حيا إلا بيقين راسخ يبعث على الاستعداد، هذا الاعتقاد وهذا اليقين هو الإيمان بالله تعالى.[1]

وهناك نصوص كثيرة ربطت الخلق بالإيمان كقوله تعالى : ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤﴾[2] ، فالوفاء بالعهد من تقوى الله ومحبة الله ، وفي الحديث : "لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له "[3] ، فالإيمان لابد أن يورث الأخلاق الحسنة وعلى رأسها الأمانة وحفظ العهد ، وفي حديث آخر: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن " قيل : من يا رسول الله ؟ قال : " الذي لا يأمن جاره بوائقه "[4] فهذا الحديث الشريف يدل على أن الأخلاق السيئة تنافي الإيمان وتناقضه ، وأنه لا يجتمع الإيمان والخلق الرديء.[5]

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن الخلق جماع الدين ، وبه بعث سيد المرسلين ﷺ، وهو كلمة واحدة، لكنها شملت الدين ، وانطوت على معانيه العظيمة ودلالاته الكريمة، وهذا ما جعل ابن عباس – رضي الله عنه – يفسر هذه الكلمة بأنها الدين في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[6] قال : على دين عظيم[7]، فلا انفصال بين الدين والخلق ، بل لا يتصور وجود أحدهما وجودا مؤثرا من دون الآخر .

---

(١) الحليبي، أحمد بن عبد العزيز .المسؤولية الخلقية والجزاء عليها ، الرياض: مكتبة الرشد، ص٩٣

(٢) سورة التوبة آية : ٤

(٣) أخرجه أحمد ٢٥١/٣، وهو صحيح انظر كتاب الإيمان لابن أبي شيبة تحقيق وتخريج الشيخ الألباني حديث(٧)

(٤) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه حديث (٦٠١٦)

(٥) زيدان، عبد الكريم،١٩٩٩م.أصول الدعوة.بيروت:مؤسسة الرسالة ،ط٩، ص٩١

(٦) سورة القلم آية : ٤

(٧) ابن تيمية ، مرجع سابق ، ٦١/١٦

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مبينا التلازم بين الإيمان والخلق : " لفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر ، وبلفظ التقوى ، وبلفظ الدين ، وقد بين النبي ﷺ أن الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[1]، فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان .[2]

وإذا كان الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ، وأنه لابد فيه من شيئين ؛ الأول:تصديق القلب ومعرفته ، وهذا هو التوحيد ، والآخر : عمل القلب وهو التوكل على الله وحده ونحوه مثل حب الله ورسوله ، وحب ما يحبه الله ورسوله ، وبغض ما يبغضه الله ورسوله ، وإخلاص العمل لله وحده ، كانت أعمال القلب من الحب والإخلاص والخشية والتوكل ونحوها داخلة في الإيمان بهذا المعنى ، وكانت هذه الأخلاق الفاضلة ونحوها داخلة في الإيمان ، وأما البدن فلا يمكن أن يتخلف عن مراد القلب ، لأنه إذا كان في القلب معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، ولهذا قال النبي ﷺ : "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب" [3] ، وقال أبو هريرة – رضي الله عنه – : "القلب ملك ، والأعضاء جنوده ، فإذا طاب الملك طابت جنوده".

إنه إذا كان عمل القلب من الأمور الباطنة ، وعمل الجسد من الأمور الظاهرة ، فإن الظاهر تابع للباطن ، لازم له ، متى صلح الباطن صلح الظاهر ، وإذا فسد فسد

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب أمور الإيمان حديث(٩)، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان حديث(٣٥)

(٢) ابن تيمية ، مرجع سابق، ١٧٩/٧

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه حديث(٥٢)، ومسلم كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات حديث(١٥٩٩)

، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث : "لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه" ، وهكذا فإنه لما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان لم يفرق الله تعالى بينها وبينه في قوله سبحانه : ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[1]، فأدخل في الإيمان جميع الطاعات ، لأنه سبحانه حبب إليهم ذلك حب تدين ، وكره إليهم الكفر والفسوق وسائر المعاصي كراهة تدين ، ومن ذلك قوله ﷺ: "من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن"[2]، لأن الله سبحانه حبب إلى المؤمنين الحسنات وكره إليهم السيئات.[3]

ولما كانت الأخلاق من الإيمان بهذه المثابة ، كان الإيمان هو مصدر الإلزام الخلقي ، بمعنى أن الإيمان له قوته الإيجابية التي تعمل على تنمية المشاعر وتنقيتها ، وأن القوة الإيمانية تترك بصماتها على اتجاهات السلوك الإنساني ، ولاسيما في مجال العلاقات الإنسانية ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[4]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "لقد نصت هذه الآيات على خمس صفات للمؤمن الحق ، وهذه الخمس تتضمن ما عداها ، فإنه سبحانه ذكر وجل القلب إذا ذكر الله ، وزيادة الإيمان إذا تليت الآيات، مع التوكل على الله، وإقام الصلاة، والإنفاق، فكان هذا مستلزما للباقي ، لأن وجل

---

(١) سورة الحجرات آية ٧:

(٢) أخرجه الترمذي ،كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة حديث (٢١٦٥)، وهو صحيح انظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق وتخريج الشيخ الألباني حديث (٥٢١)

(٣) ابن تيمية، مرجع سابق، ٤٣/٧ ، ١٨٧

(٤) سورة الأنفال الآيات :٢-٤

القلب عند ذكر الله يقتضي خشيته والخوف منه ، وإذا كان وجل القلب من ذكر الله يتضمن خشيته ومخافته ، فذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور وترك المحظور "[1].

المطلب الأول : تعريف الإيمان :

الإيمان في اللغة : التصديق ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[2]، وهو مصدر الفعل (آمن) وهو مأخوذ من مادة(أ م ن) التي هي ضد الخيانة ، ومعناها سكون القلب والتصديق الذي هو ضد التكذيب.[3]

الإيمان في الاصطلاح : له إطلاقان :

الإطلاق الأول : أن يطلق على الإفراد غير مقترن بالإسلام ، فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾[5]، فالإيمان بهذا الإطلاق هو التصديق الجازم ، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهرا وباطنا ، فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن ، وذلك شامل للقيام بالدين كله .

ولهذا كان الأئمة والسلف ـ رحمهم الله ـ يقولون : " الإيمان قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو قول وعمل واعتقاد ،يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال الشافعي[6] – رحمه الله – : " وكان الإجماع من الصحابة والتابعين

---

(١) ابن تيمية، مرجع سابق، ٧/١٩-٢٠

(٢) سورة يوسف الآية :١٧

(٣) ابن فارس ، مرجع سابق مادة(أمن) ١/١٣٣،وابن منظور ، مرجع سابق ، مادة(أمن) ١٣/٢١

(٤) سورة البقرة الآية :١٨٣

(٥) سورة الإسراء الآية :١٩

(٦) الشافعي : هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع من بني المطلب من قريش ،أحد الأئمة الأربعة وإليه ينتسب الشافعية، جمع إلى علم الفقه القراءات وعلم الأصول والحديث واللغة والشعر ، نشر مذهبه بالحجاز والعراق ثم انتقل إلى مصر سنة١٩٩هـ ونشر بها مذهبه أيضا من تصانيفه :الأم والرسالة وأحكام القرآن واختلاف الحديث ، توفي سنة ٢٠٤هـ(تذكرة الحفاظ١/٣٢٩)

من بعدهم ومن أدركناهم يقولون :إن الإيمان قول وعمل ونية ، لا تجزئ واحدة من الثلاثة إلا بالأخرى"[١] ، وقال ابن عبد البر[٢] ـ رحمه الله ـ : " أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، والطاعات كلها عندهم إيمان"[٣].

ويدل على هذا التعريف أدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، منها قوله تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[٤]، فجعل الإخلاص ـ وهو عمل القلب ـ والصلاة والزكاة من الدين ، قال الشافعي – رحمه الله – : "ليس عليهم أحج من هذه الآية"، وقال ﷺ : "الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان"[٥] فالشهادة : قول، والإماطة: عمل ، والحياء: عمل القلب.

الإطلاق الثاني : أن يطلق مقرونا بالإسلام ، فيفسر الإيمان بالاعتقادات الباطنة كما جاء في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ وهي : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[٦]، وفي قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ

(١) البيهقي ، أحمد بن الحسين ،١٣٩١هـ مناقب الشافعي ، القاهرة ، دار التراث ، ط١، تحقيق السيد أحمد صقر ،١/٣٨٧

(٢) ابن عبد البر : هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الحافظ أبو عمر ، ولد بقرطبة ، من أجلة المحدثين والفقهاء ، شيخ علماء الأندلس ، مؤرخ أديب مكثر من التصنيف، رحل رحلات طويلة ، من تصانيفه : الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار ،والكافي في الفقه ، توفي سنة٤٦٣هـ(الأعلام٩/٣١٧)

(٣) ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله ، ١٩٨١م، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، المملكة المغربية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،ط١ تحقيق سعيد أحمد ،٩/٢٣٨

(٤) سورة البينة الآية :٥

(٥) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب أمور الإيمان حديث(٩)، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان حديث(٣٥)

(٦) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث(٨)

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ ﴾[2].

المطلب الثاني : الإيمان بالله تعالى وأثره في تزكية النفوس :

الإيمان بالله تعالى معناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع ، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها ، المنزه عن كل نقص .

فالإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده في ثلاثة : في ربوبيته ، وفي ألوهيته ، وفي أسمائه وصفاته، ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية وصفات الكمال وأسماء الجلال ، فلا يكون العبد مؤمنا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره ، وإله كل شيء ولا إله غيره ، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه ولا كامل غيره .[3]

فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد تدخل في معنى الإيمان بالله تعالى ، وفيما يأتي بيان اشتمال سورة المائدة على ما يقرر كل نوع منها ، وأثر ذلك في تزكية النفوس ، وقبل الشروع في بيان ذلك لابد من التنويه بأمر مهم وهو ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة من نداء المكلفين باسم الإيمان ، حيث تكرر هذا النداء الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ست عشرة مرة ،[4] والإتيان بلقب الإيمان في المنادى عليهم للتأكيد على ما يقتضيه الإيمان من الامتثال للأوامر والنواهي، وتلقيها بالسمع والطاعة،

---

(١) سورة مريم الآية :٩٦

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٤

(٣) ياسين، محمد نعيم،١٩٣٨م.الإيمان :أركانه، حقيقته، نواقضه.الكويت:مكتبة الفلاح،ط١،ص١٣بتصرف يسير

(٤) انظر الآيات:١، ٢ ،٦، ٨، ١١، ٣٥، ٥١، ٥٤، ٥٧، ٨٧، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦

وفورية الاستجابة [١]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [٢]، جاء رَجل إلى عَبْد اللّه بْن مَسْعُود فَقَالَ: اعْهَدْ إليَّ فَقَال: " إِذَا سَمِعْت اللّه يَقُول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فَأَرْعِهَا سَمْعك فَإِنَّهُ خَيْر يَأْمُر بِهِ أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ " [٣].

ولا شك أن النداء بالإيمان محبب إلى النفوس المؤمنة، لأنه يحرك فيها بواعث الإيمان وسمات الإسلام،فتنبعث النفس إلى الاستجابة لأمر ربها وفي ذلك زكاتها من الكفر والنفاق والعصيان، وتحليها بالاستقامة والطاعة والانقياد.

من معالم منهج التزكية في سورة المائدة ما وعد اللّه تعالى به عباده المؤمنين من الأجر العظيم والثواب الجزيل، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [٤]، قال ابن كثير[٥]: " أَيْ لِذُنُوبِهِمْ ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وَهُوَ الْجَنَّة الَّتِي هِيَ مِنْ رَحْمَته عَلَى عِبَاده لا يَنَالُوهَا بِأَعْمَالِهِمْ بَلْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْل وَإِنْ كَانَ سَبَب وُصُول الرَّحْمَة إِلَيْهِمْ أَعْمَالهمْ وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَهَا أَسْبَابًا إِلَى نَيْل رَحْمَته وَفَضْله وَعَفْوه وَرِضْوَانه فَالْكُلّ مِنْهُ وَلَهُ فَلَهُ الْحَمْد وَالْمِنَّة ".اهـ[٦]

وفيما يأتي ذكر الأنواع الثلاثة للإيمان باللّه تعالى وورودها في سورة المائدة:

---

(١) بدوي،عبد العظيم،٢٠٠٩م.إعلام ذوي الأفئدة بأحكام سورة المائدة .القاهرة:دار ابن رجب،دار الفوائد، ط١، ص١٢

(٢) سورة النور آية: ٥١

(٣) ابن كثير، إسماعيل ،١٩٨٢م. تفسير القرآن العظيم .بيروت:دار المعرفة ، ٣/٢

(٤) سورة المائدة آية: ٩

(٥) ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء البصروي ثم الدمشقي ، شافعي المذهب ، مفسر محدث فقيه حافظ ،انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير ، من تصانيفه: شرح تنبيه أبي إسحاق الشيرازي، والبداية والنهاية، وشرح صحيح البخاري ، وتفسير القرآن العظيم ، وجامع المسانيد ، توفي سنة ٧٧٤هـ (شذرات الذهب٦/٢٣١)

(٦) ابن كثير، مرجع سابق، ٢/ ٣١

- **النوع الأول : توحيد الربوبية :**

ومعناه الإجمالي : الاعتقاد الجازم بأن اللّه رب كل شيء ، ولا رب سواه ، وربوبية اللّه تعالى على خلقه تعني تفرده سبحانه في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهم ، فتوحيد اللّه في الربوبية هو الإقرار بأنه سبحانه هو وحده خالق الخلق ومالكهم ، ومحييهم ومميتهم ، ونافعهم وضارهم، ومجيب دعائهم عند الاضطرار ، والقادر عليهم، فله الخلق كله ، وله الأمر كله كما قال سبحانه عن نفسه : ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾[1].

وبالتأمل في السورة الكريمة نجد أن معالم توحيد الربوبية ظاهرة في جوانب عديدة منها ، وما يتبع ذلك من آثار في تزكية النفوس، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١. تقرير أن اللّه تعالى يحكم ما يريد لكمال ربوبيته في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[2]، قال الطبري[3]: «يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : إِنَّ اللَّه يَقْضِي فِي خَلْقه مَا يَشَاء مِنْ تَحْلِيل مَا أَرَادَ تَحْلِيله ، وَتَحْرِيم مَا أَرَادَ تَحْرِيمه ، وَإِيجَاب مَا شَاءَ إِيجَابه عَلَيْهِمْ ، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامه وَقَضَايَاهُ ، فَأَوْفُوا أَيّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَهُ بِمَا عَقَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ تَحْلِيل مَا أَحَلَّ لَكُمْ وَتَحْرِيم مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ عُقُوده فَلَا تَنْكُثُوهَا وَلَا تَنْقُضُوهَا . وساق بإسناده عَنْ قَتَادَة :»إِنَّ اللَّه يَحْكُم

---

(١) سورة الأعراف : ٥٤، وانظر ياسين، مرجع سابق ، ص١٤، العثيمين، محمد بن صالح، ١٩٩٨م .شرح ثلاثة الأصول،. المملكة العربية السعودية:دار الثريا للنشر ط٤ ، ص٨٤، فريد، أحمد، ١٤٠٩هـ .الثمرات الزكية في العقائد السلفية .القاهرة:مكتبة التوعية الإسلامية، ط١ص١٩

(٢) سورة المائدة آية : ١

(٣) الطبري : هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري ، شيخ المفسرين والمؤرخين ، كان شافعيا ثم استقل بمذهب ، له كتب كثيرة في الحديث والقراءات والفقه والتفسير منها تفسيره جامع البيان عن تأويل القرآن ، وتاريخ الأمم والملوك ، توفي سنة ٣١٠هـ

مَا أَرَادَ فِي خَلْقه، وَبَيَّنَ لعبَاده ، وَفَرضَ فَرَائضه ، وَحَدَّ حُدُوده ، وَأَمَرَ بِطَاعَته، وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَته »[1].

ولا يخفى أن حكم الله تعالى نوعان ؛ الأول : حكم كوني قدري ، والثاني:حكم شرعي ديني[2]، فالنوع الأول يندرج تحت توحيد الربوبية كما قال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾[4].

فاللّه سبحانه يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد تحليله ، وتحريم ما أراد تحريمه، وإيجاب ما شاء إيجابه عليهم ، وغير ذلك من أحكامه وقضاياه ، وله الحكمة البالغة في ذلك كله ، وليس لأحد أن يراجع اللّه في حكمه ، كما يراجع الناس بعضهم البعض في أحكامهم ، قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾[5]، فحكمه في الخلق نافذ ، ليس لأحد أن يرده أو يبطله .[6]

٢. التصريح بلفظ (الرب) في قوله تعالى : ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾[7]، فهنا عبر اللّه تعالى بلفظ ﴿رَّبِّهِمْ﴾ الدال على الربوبية فيما يمنحه لعباده من الفضل والإحسان وسائر النعم ، وذلك لأن الرزق

(١) الطبري، محمد بن جرير،١٩٩٢م. جامع البيان في تأويل القرآن . بيروت : دار الكتب العلمية،ط١، ٣٩٢/٤

(٢) انظر : هراس،محمد خليل،شرح القصيدة النونية للإمام ابن القيم.القاهرة:دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ٢١٨/٢

(٣) سورة الحج آية : ٥٦

(٤) سورة الحج آية : ٦٩

(٥) سورة الرعد آية : ٤١

(٦) الحمود، محمد بن حمد،١٩٩٢م.النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى.الكويت: مكتبة الإمام الذهبي،ط١,١/٢٣٤

(٧) سورة المائدة آية : ٢

والإنعام من فعله المختص به سبحانه وذلك مقتضى الربوبية .

٣. تقرير أن الله تعالى خالق كل شيء ومالكه ، قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾[1]، قال ابن كثير: «وَهُوَ سُبۡحَانه الۡحَاكم فِي جَمِيع عِبَاده ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أَيۡ هُوَ فَعَّال لِمَا يُرِيد لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِه وَهُوَ سَرِيع الۡحِسَاب ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ أَيۡ:الۡجَمِيع مُلۡكه وَتَحۡت قَهۡره وَسُلۡطَانه « وَإِلَيۡه الۡمَصِير» أَيۡ الۡمَرۡجِعُ وَالۡمَآب إِلَيۡهِ فَيَحۡكُم فِي عِبَادِهِ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الۡعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ»[2].

ولا شك أن الخلق ، والمغفرة ، والتعذيب ، والملك من خصائص الربوبية التي انفرد بها الله سبحانه وتعالى لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه .

٤. تقرير أن الله تعالى متفرد في الخلق والحساب والجزاء ،قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠﴾[3]، قال الطبري:«يَقُول جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّه مُحَمَّد ﷺ : أَلَمۡ يَعۡلَم هَؤُلَاءِ الۡقَائِلُونَ: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾[4] الزَّاعِمُونَ أَنَّهُمۡ أَبۡنَاء اللَّه وَأَحِبَّاؤُهُ ، أَنَّ اللَّه مُدَبِّر مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الۡأَرۡض ، وَمُصَرِّفه وَخَالِقه ، لَا يَمۡتَنِع شَيۡء مَا فِي وَاحِدَة مِنۡهُمَا مِمَّا أَرَادَهُ؛ لِأَنَّ كُلّ ذَلِكَ مِلۡكه وَإِلَيۡهِ أَمۡره ، وَلَا نَسَب بَيۡنه وَبَيۡن شَيۡء مِمَّا فِيهَا وَلَا مِمَّا

(١) سورة المائدة آية :١٨
(٢) ابن كثير، مرجع سابق، ٢/ ٣٤
(٣) سورة المائدة آية : ٤٠
(٤) سورة البقرة آية: ٨٠

فِي وَاحِدَة مِنْهُمَا فَيُحَابِيهِ بِسَبَب قَرَابَته مِنْهُ فَيُنْجِيه مِنْ عَذَابه وَهُوَ بِهِ كَافِر وَلِأَمْرِهِ وَنَهْيه مُخَالِف ، أَوْ يُدْخِلهُ النَّار وَهُوَ لَهُ مُطِيع لِبُعْدِ قَرَابَته مِنْهُ ; وَلَكِنَّهُ يُعَذِّب مَنْ يَشَاء مِنْ خَلْقه فِي الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيَته بِالْقَتْلِ وَالْخَسْف وَالْمَسْخ وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ صُنُوف عَذَابه، وَيَغْفِر لِمَنْ يَشَاء مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِ مِنْ كُفْره وَمَعْصِيَته ، فَيُنْقِذهُ مِنْ الْهَلَكَة وَيُنَجِّيه مِنْ الْعُقُوبَة .

يَقُول : وَاَللَّه عَلَى تَعْذِيب مَنْ أَرَادَ تَعْذِيبه مِنْ خَلْقه عَلَى مَعْصِيَته وَغُفْرَان مَا أَرَادَ غُفْرَانه مِنْهُمْ بِاسْتِنْقَاذِهِ مِنْ الْهَلَكَة بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِ وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الْأُمُور كُلّهَا قَادِر ; لِأَنَّ الْخَلْق خَلْقه وَالْمُلْك مُلْكه وَالْعِبَاد عِبَاده .»[1]

٥. قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًاۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2].

وفي هذه الآيات الكريمات يتجلى توحيد الربوبية في لفظ الجلالة (الرب) كما ورد في الآيات السابقة في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾،وقوله: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾،وقوله : ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فللفظ الرب في اللغة معان منها : المالك ،

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ٤/٥٧٥

(٢) سورة المائدة الآيات :٦٦-٦٨

والسيد ، والمربي، والقيّم، والمنعم ، والمدبر ، والمصلح، وإذا أطلق في حق الله تعالى فمعناه : (الخالق المالك المدبر لجميع الأمور المربي جميع العالمين)، ولا يطلق هذا الاسم على غير الله تعالى إلا مضافاً كقولهم : رَبّ الدار، ورَبّ الإبل.[1]

كما أن توحيد الربوبية يظهر أيضا في لفظ (الإنزال) الذي يدل على فعل الله تعالى الذي ينزل ما يشاء، فهو سبحانه أنزل الوحي الذي به حياة القلوب ، وأنزل الماء الذي به حياة الأبدان ، وأنزل الحديد وأنزل اللباس وغيرها من النعم المحسوسة والمعنوية التي لا يحصيها إلا الله تعالى وفيها مصالح العباد في الدنيا والآخرة ، كما أنه سبحانه ينزل العقوبات على من يشاء من عباده، وكل ذلك من فعله سبحانه الذي تفرد به ولم يشركه فيه أحد من خلقه .

كما يتجلى توحيد الربوبية في قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال ابن كثير:»أي : بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظ وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك عليهم بهم ، فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك»أهـ[2] ، وحفظ الله ونصره لنبيه ﷺ من أفعاله سبحانه التي تفرد بها وهي من خصائص ربوبيته تعالى.

٦. بيان أن عيسى عليه السلام أقر بربوبية الله وحده ودعا إلى ذلك كما قال تعالى : ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ

(١) ابن فارس ، مرجع سابق ، مادة (رب) ٢/٣٨١، ابن منظور، مرجع سابق ، مادة(ربب)١/٣٩٩

(٢) ابن كثير، مرجع سابق ، ٢/٧٨

ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ ﴾[2].

يظهر توحيد الربوبية في هاتين الآيتين الكريمتين فيما قاله عيسى ابن مريم عليه السلام لقومه : ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ وأن ذلك مما أوحاه الله تعالى إليه وأمره ببلاغه لقومه ، وهو أيضا من جملة ما دعا إليه الرسل جميعا، وهو الإقرار بأن الله تعالى وحده الرب الخالق المالك المدبر.

قال الطبري :» وَيَعْنِي بِقَوْلِه : ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ ﴾ يَقُول : اجْعَلُوا الْعِبَادَة وَالتَّذَلُّل لِلَّذِي لَهُ يَذِلّ كُلّ شَيْء وَلَهُ يَخْضَع كُلّ مَوْجُود ، رَبِّي وَرَبّكُمْ، يَقُول : مَالِكِي وَمَالِككُمْ ، وَسَيِّدِي وَسَيِّدكُمْ ، الَّذِي خَلَقَنِي وَإِيَّاكُمْ .»اهـ[3]

٧. قال تعالى : ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٠﴾ ﴾[4].

(١) سورة المائدة آية :٧٢

(٢) سورة المائدة آية :١١٧

(٣) الطبري، مرجع سابق ، ٦٥٢/٤

(٤) سورة المائدة آية :١١٠

قال ابن كثير :« يَذْكُر تَعَالَى مَا امْتَنَّ بِه عَلَى عَبْدِه وَرَسُوله عِيسَى ابْن مَرْيَم عَلَيْهِ السَّلام مِمَّا أَجْرَاهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ الْمُعْجِزَات الْبَاهِرَات وَخَوَارِق الْعَادَات فَقَالَ :اُذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْك أَيْ فِي خَلْقِي إِيَّاكَ مِنْ أُمّ بِلا ذَكَرٍ وَجَعْلِي إِيَّاكَ آيَة وَدَلالَة قَاطِعَة عَلَى كَمَال قُدْرَتِي عَلَى الْأَشْيَاء وَعَلَى وَالِدَتك،حَيْثُ جَعَلْتُك لَهَا بُرْهَانًا عَلَى بَرَاءَتِهَا مِمَّا نَسَبَهُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاهِلُونَ إِلَيْهَا مِنْ الْفَاحِشَة ، إِذْ أَيَّدْتُك بِرُوحِ الْقُدُس وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام، وَجَعَلْتُك نَبِيًّا دَاعِيًا إِلَى اللَّه فِي صِغَرك وَكِبَرك فَأَنْطَقْتُك فِي الْمَهْد صَغِيرًا ، فَشَهِدْت بِبَرَاءَة أُمّك مِنْ كُلّ عَيْب وَاعْتَرَفْت لِي بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَخْبَرْت عَنْ رِسَالَتِي إِيَّاكَ وَدَعَوْت إِلَى عِبَادَتِي»[1]اهـ، ولاشك أن هذه الآيات الباهرة والمعجزات الخارقة تدل على ربوبية الله تعالى وتفرده سبحانه بالخلق والإيجاد والتدبير لملكه وخلقه .

٨. ختام السورة بتقرير الربوبية في قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾[2]، قال ابن كثير: «أَيْ هُوَ الْخَالِق لِلْأَشْيَاء الْمَالِك لَهَا الْمُتَصَرِّف فِيهَا الْقَادِر عَلَيْهَا ، فَالْجَمِيع مِلْكه وَتَحْت قَهْره وَقُدْرَته وَفِي مَشِيئَته فَلا نَظِير لَهُ وَلا وَزِير وَلا عَدِيل وَلا وَالِد وَلا وَلَد وَلا صَاحِبَة وَلا إِلَه غَيْره وَلا رَبّ سِوَاهُ »اهـ[3].

- **النوع الثاني : توحيد الألوهية :**

ومعناه الإجمالي : الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق ، ولا إله غيره، وإفراده سبحانه بالعبادة ، والإله هو المعبود حبا وتعظيما ، قال تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/١١٥

(٢) سورة المائدة آية : ١٢٠

(٣) ابن كثير ،مرجع سابق، ٢/١٢٢

وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] ، فتوحيد الألوهية مبني على إخلاص العبادة لله وحده ، في باطنها وظاهرها ، بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه.[2]

وتوحيد الألوهية في سورة المائدة يبرز في مواضع عديدة منها على سبيل المثال :

١. الدعوة إلى عبادة الله وحده ، والنهي عن عبادة غيره وبيان عاقبة ذلك في قوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[3].

قال الطبري: " وَيَعْنِي بِقَوْلِه : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ يَقُول : اِجْعَلُوا الْعِبَادَة وَالتَّذَلُّل لِلَّذِي لَهُ يَذِلّ كُلّ شَيْء وَلَهُ يَخْضَع كُلّ مَوْجُود ، رَبِّي وَرَبّكُمْ ، يَقُول : مَالِكِي وَمَالِككُمْ ، وَسَيِّدِي وَسَيِّدكُمْ ، الَّذِي خَلَقَنِي وَإِيَّاكُمْ .[4]

١. الحكم بكفر من ناقض توحيد الألوهية ونسب إلى الله تعالى الشريك أو الولد كما قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[5].

قال ابن كثير : "وَالصَّحِيح أَنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي النَّصَارَى خَاصَّة قَالَهُ مُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد ثُمَّ اِخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ فَقِيلَ الْمُرَاد بِذَلِكَ كُفَّارهمْ فِي قَوْلهمْ بِالْأَقَانِيم

---

(١) سورة البقرة آية :١٦٣

(٢) وانظر : ياسين، مرجع سابق، ص١٩،العثيمين، مرجع سابق ، ص٨٥، فريد، مرجع سابق، ص٨٩

(٣) سورة المائدة آية :٧٢

(٤) الطبري، مرجع سابق ، ٦٥٢/٤

(٥) سورة المائدة آية :٧٣

الثَّلَاثَة وَهُوَ : أُقْنُومُ الْأَب وَأُقْنُومُ الِابْن وَأُقْنُومُ الْكَلِمَة الْمُنْبَثِقَة مِنْ الْأَب إِلَى الِابْن تَعَالَى اللَّه عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا قَالَ اِبْن جَرِير وَغَيْره وَالطَّوَائِف الثَّلَاثَة مِنْ الْمَلَكِيَّة وَالْيَعْقُوبِيَّة وَالنَّسْطُورِيَّة(١) تَقُول بِهَذِهِ الْأَقَانِيم وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِيهَا اخْتِلَافًا مُتَبَايِنًا لَيْسَ هَذَا مَوْضِع بَسْطه وَكُلّ فِرْقَة مِنْهُمْ تُكَفِّر الْأُخْرَى وَالْحَقّ أَنَّ الثَّلَاثَة كَافِرَة .

---

(١) الملكية (الملكانية) : أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ، وقالوا :إن الكلمة اتحدت بجسد وتدرعت بناسوته. ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا، بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح، كما يمازج الخمر أو الماء، اللبن. وصرّحت الملكانية أن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة، وعن هذا صرّحوا بإثبات التثليث، وأخبر عنهم القرآن: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾ المائدة: ٧٣.

وقالت الملكانية: إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي، وهو قديم أزلي من قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلها أزليا، والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا. وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عزّ و جلّ وعلى المسيح لما وجدوا في الإنجيل حيث قال: إنك أنت الابن الوحيد. وحيث قال له شمعون الصفا: إنك ابن الله حقا.

(اليعقوبية) : أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو. وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ المائدة:٧٣ فمنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى. ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت، فصار الناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو، وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان. أو: ظهر الشيطان بصورة حيوان. وكما أخبر التنزيل عن جبريل عليه السلام: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧.

وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيبا، كما تركبت النفس والبدن، فصارا جوهرا واحدا أقنوما واحدا، وهو إنسان كله وإله كله.

فيقال: الإنسان صار إلها. ولا ينعكس فلا يقال: الإله صار الإنسان. كالفحمة تطرح في النار، فيقال: صارت الفحمة نارا. ولا يقال: صارت النار فحمة. وهي في الحقيقة لا نار مطلقة، ولا فحمة مطلقة بل هي جمرة، وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، ولربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع، والحلول كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوة (النسطورية) : أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. (انظر : الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم ، ١٩٧٥م، الملل والنحل ، بيروت : دار المعرفة ، ط٢ ،٢٢٢/١-٢٢٦باختصار)

وَقَالَ السُّدِّيّ[1] وَغيْره : نَزَلَتْ فِي جَعْلِهِمْ الْمَسِيح وَأُمّه إِلَهَيْنِ مَعَ اللَّه فَجَعَلُوا اللَّه ثَالِث ثَلَاثَة بِهَذَا الِاعْتِبَار قَالَ السُّدِّيّ وَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخر السُّورَة ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ ﴿١١٦﴾﴾ الْآيَة[2] وَهَذَا الْقَوْل هُوَ الْأَظْهَر وَاَللَّه أَعْلَم .

قَالَ اللَّه تَعَالَى ﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أَيْ لَيْسَ مُتَعَدِّدًا بَلْ هُوَ وَحْده لَا شَرِيك لَهُ إِنَّهُ جَمَعَ الْكَائِنَات وَسَائِر الْمَوْجُودَات ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ وَمُتَهَدِّدًا ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ أَيْ مِنْ هَذَا الِافْتِرَاء وَالْكَذِب ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أَيْ فِي الْآخِرَة مِنْ الْأَغْلَال وَالنَّكَال" اهـ[3].

٢. بيان أن المعبودات من دون الله تعالى مخلوقة ومتصفة بصفات النقص التي تدل على عجزها وفقرها وأنها لا تستحق أن تكون معبودة من دون الله تعالى الكامل في أسمائه وصفاته المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[4].

قال الطبري:»هَذَا خَبَر مِنْ اللَّه تَعَالَى ذِكْره اِحْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّد ﷺ عَلَى

(١) السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكوفي ، روى عن أنس وجماعة ، وروى عنه الثوري وأبو بكر بن عياش وخلق، قال يحيى القطان : لابأس به ، وقال ابن معين : في حديثه ضعف ، توفي سنة ١٢٧هـ(ميزان الاعتدال١/٢٣٦)

(٢) سورة المائدة آية :١١٦

(٣) ابن كثير ، مرجع سابق ، ٢/٨١

(٤) سورة المائدة آية : ٧٥

فِرَق النَّصَارَى فِي قَوْلهمْ فِي الْمَسِيح . يَقُول مُكَذِّبًا لِلْيَعْقُوبِيَّة فِي قِيلهمْ : هُوَ اللَّه ، وَالْآخَرِينَ فِي قِيلهمْ : هُوَ ابْن اللَّه : لَيْسَ الْقَوْل كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَة فِي الْمَسِيح ، وَلَكِنَّهُ ابْن مَرْيَم وَلَدَتْهُ وِلَادَة الْأُمَّهَات أَبْنَاءَهُنَّ ، وَذَلِكَ مِنْ صِفَة الْبَشَر لَا مِنْ صِفَة خَالِق الْبَشَر، وَإِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ رَسُول كَسَائِرِ رُسُله الَّذِينَ كَانُوا قَبْله فَمَضَوْا وَخَلَوْا ، أَجْرَى عَلَى يَده مَا شَاءَ أَنْ يُجْرِيه عَلَيْهَا مِنْ الْآيَات وَالْعِبَر بِحُجَّةٍ لَهُ عَلَى صِدْقه وَعَلَى أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُول إِلَى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقه ، كَمَا أَجْرَى عَلَى أَيْدِي مَنْ قَبْله مِنْ الرُّسُل مِنْ الْآيَات وَالْعِبَر حُجَّة لَهُمْ عَلَى حَقِيقَة صِدْقهمْ فِي أَنَّهُمْ لِلَّهِ رُسُل .

وَقَوْله : ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ خَبَر مِنْ اللَّه تَعَالَى ذِكْره عَنْ الْمَسِيح وَأُمّه أَنَّهُمَا كَانَا أَهْل حَاجَة إِلَى مَا يَغْذُوهُمَا وَتَقُوم بِهِ أَبْدَانهمَا مِنْ الْمَطَاعِم وَالْمَشَارِب كَسَائِرِ الْبَشَر مِنْ بَنِي آدَم . فَإِنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَغَيْر كَائِن إِلَهًا ؛ لِأَنَّ الْمُحْتَاج إِلَى الْغِذَاء قِوَامه بِغَيْرِهِ ، وَفِي قِوَامه بِغَيْرِهِ وَحَاجَته إِلَى مَا يُقِيمهُ دَلِيل وَاضِح عَلَى عَجْزه ، وَالْعَاجِز لَا يَكُون إِلَّا مَرْبُوبًا لَا رَبًّا ».[1]

٣. الأمر بطاعة الله تعالى وحده وطاعة رسوله ﷺ وهو من مقتضيات توحيد الألوهية، قال تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾[2].

قال الطبري : " يَقُول تَعَالَى ذِكْره : إِنَّمَا الْخَمْر وَالْمَيْسِر وَالْأَنْصَاب وَالْأَزْلَام رِجْس مِنْ عَمَل الشَّيْطَان فَاجْتَنِبُوهُ ، وَأَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا الرَّسُول فِي اجْتِنَابكُمْ ذَلِكَ وَاتِّبَاعكُمْ أَمْره فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ الِانْزِجَار عَمَّا زَجَرَكُمْ

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ٤/٦٥٤

(٢) سورة المائدة آية : ٩٢

عَنْهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي بَيَّنَّهَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا، وَخَالِفُوا الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَبْغِي لَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَكُمْ بِالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ .يَقُولُ : فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَعْمَلُوا بِمَا أَمَرْنَاكُمْ بِهِ وَتَنْتَهُوا عَمَّا نَهَيْنَاكُمْ عَنْهُ وَرَجَعْتُمْ مُدْبِرِينَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ" .اهـ[1]

- **النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات :**

ومعناه الإجمالي : الاعتقاد الجازم بأن اللّه تعالى متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد بهذا عن جميع الكائنات ، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف لألفاظها أو معانيها ، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن اللّه تعالى ، ولا تكييفها بتحديد كنهها وإثبات كيفية معينة لها ، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين .

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾[2]،
وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ⑪﴾[3].

وواضح أن توحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس، من حاد عنها لم يكن موحد ربه في أسمائه وصفاته:

- الأول : تنزيه اللّه تعالى عن مشابهة الخلق ، وعن أي نقص .
- الثاني : الإيمان بالأسماء والصفات الثابت في الكتاب والسنة ، دون تجاوزها

---

(١) جامع البيان ٥/٣٧

(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٠

(٣) سورة الشورى آية : ١١

بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها .

- الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات .[1]

ويظهر توحيد الأسماء والصفات في سورة المائدة في مواضع عديدة منها:

أولاً: ختم الآيات في السورة الكريمة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا في مواضع كثيرة :

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾[2]، ﴿فإن الله غفور رحيم﴾[3]، ﴿إن الله سريع الحساب﴾[4]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾[5] ، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾[6] ، ونحو ذلك مما لا يخفى على المتأمل في السورة الكريمة، ولاشك أن الأسماء الحسنى والصفات العليا تدل على كمال الله تعالى وجلاله وجماله، فإذا اقترن أحد الاسمين والوصفين بالآخر دل على كمال آخر لله تعالى حصل من اقتران الاسمين أو الوصفين ، فهما دالان على كمال الموصوف سبحانه من جهتين؛ دلالته على الكمال المفرد في الصفتين ، فهذه دلالة مفردة خالية من التركيب، ودلالة من جهة اجتماعهما في الدلالة على صفة الكمال المقصود بهذه دلالة مركبة لا علاقة لها بمفرديها إلا من جهة اجتماع الكمالين في الدلالة على كمال ثالث،وفائدة ذلك تكثير طرق التعظيم للممدوح سبحانه بتكثير صفات كماله الدالة على عظمته، فله كمال من استقلال كل صفة بمعناها ، وكمال من اجتماعهما، ومن أمثلته اقتران الغني

---

(١) انظر : ياسين، مرجع سابق، ص٢٥، العثيمين، مرجع سابق، ص٨٧، فريد، مرجع سابق ، ص٣١

(٢) سورة المائدة آية ٢:

(٣) سورة المائدة آية ٣:

(٤) سورة المائدة آية ٤:

(٥) سورة المائدة آية ٨:

(٦) سورة المائدة آية ٣٨:

بالحميد، والعفو بالقدير، والحميد بالمجيد.(١)

ثانياً : بيان أن الله تعالى جعل الآيات الكونية والآيات الشرعية ليعرفه عباده ويوحدوه ويعبدوه كما قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾(٢).

قال الطبري : «يَعْنِي تَعَالَى ذِكْره بِقَوْلِهِ : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ تَصْيِيره الْكَعْبَة الْبَيْت الْحَرَام قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْر الْحَرَام وَالْهَدْي وَالْقَلَائِد . يَقُول تَعَالَى ذِكْره : صَيَّرْت لَكُمْ أَيّهَا النَّاس ذَلِكَ قِيَامًا كَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ أَحْدَثَ لَكُمْ لِمَصَالِح دُنْيَاكُمْ مَا أَحْدَثَ مِمَّا بِهِ قِوَامكُمْ ، عِلْمًا مِنْهُ بِمَنَافِعِكُمْ وَمَضَارّكُمْ أَنَّهُ كَذَلِكَ يَعْلَم جَمِيع مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الْأَرْض مِمَّا فِيهِ صَلَاح عَاجِلكُمْ وَآجِلكُمْ ، وَلِتَعْلَمُوا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْء عَلِيم ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْء مِنْ أُمُوركُمْ وَأَعْمَالكُمْ ، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ حَتَّى يُجَازِي الْمُحْسِن مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيء مِنْكُمْ بِإِسَاءَتِهِ»(٣) .

ثالثاً : الأمر الصريح بالعلم بأن الله شديد العقاب وأنه غفور رحيم كما قال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾(٤) .

قال الشيخ ابن سعدي(٥): «أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنه شديد العقاب العاجل والآجل على من عصاه، وأنه غفور

(١) انظر ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. بدائع الفوائد . بيروت: دار الكتاب العربي، ١٦١/١، البريكان، إبراهيم بن محمد ،١٩٩٤م.القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف.الرياض : دار الهجرة ،ط٢،ص ٥٩

(٢) سورة المائدة آية:٩٧

(٣) الطبري ، مرجع سابق، ٧٧/٥

(٤) سورة المائدة آية:٩٨

(٥) ابن سعدي : هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي ، ولد في عنيزة في القصيم ونشأ يتيما ، برع في العلوم الشرعية وله مصنفات كثيرة منها : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، توفي سنة١٣٧٦هـ

رحيم لمن تاب إليه وأطاعه.فيثمر لكم هذا العلمُ الخوفَ من عقابه، والرجاءَ لمغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء.»اهـ[١]

أثر الإيمان بالله تعالى في تزكية النفوس :

والإيمان باللّه تعالى يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها :

- الأولى: تحقيق توحيد اللّه تعالى، بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوفا، ولا يعبد غيره .
- الثانية : كمال محبة اللّه تعالى ، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا .
- الثالثة : تحقيق عبادته بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه .[٢]
- الرابعة :العلم بأن قبول العمل متوقف على صحة الإيمان كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[٣] وقال : ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴿٩٤﴾ ﴾[٤].
- وينبغي العلم أيضا أن فقد الإيمان يؤدي إلى حبوط العمل كما قال تعالى : ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾[٥]، وقال: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٦] .

---

(١) السعدي،عبد الرحمن بن ناصر، ٢٠٠٠م.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي،ط٥، ص٣٠١

(٢) العثيمين، مرجع سابق، ص٩٠

(٣) سورة الإسراء آية:١٩

(٤) سورة الأنبياء آية:٩٤

(٥) سورة المائدة آية : ٥

(٦) سورة الزمر آية:٦٥

- الخامسة : العلم بأسماء الله وصفاته هو العاصم من الزلل ، والمقيل من العثرة ، والفاتح لباب الأمل، والمعين على الصبر ، والواقي من الخمول والكسل ،فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضرر والنفع ، العطاء والمنع ، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة ، يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا.

وعلمنا بسمعه وبصره وعلمه يقضي بأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يثمر للعبد حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله ، فيثمر له ذلك الحياء باطنا ، واجتناب المحرمات ظاهرا.

ومعرفة العبد بغنى العبد وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء ، وتثمر له ذلك من أنواع من العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه .

ومعرفة العبد بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعا من العبودية الظاهرة هي موجباتها .

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العليا يوجب له محبة خاصة ، بمنزلة أنواع العبودية ، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات.(١)

المطلب الثالث : الإيمان بالملائكة وأثره في تزكية النفوس :

المقصود به الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها ،

(١) انظر ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. مفتاح دار السعادة. بيروت: دار الكتب العلمية. ٢/ ٩٠ ،الأشقر،عمر سليمان،١٩٩٣م. الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة. الأردن : دار النفائس،ط١. ص٢٢

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾﴾[١] ، والإيمان بهم يتضمن أربعة أمور :الأول : الإيمان بوجودهم .الثاني : الإيمان بمن علمنا اسمه منهم كـ(جبريل) ، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالا.الثالث : الإيمان بما علمنا من صفاتهم ، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق .الرابع : الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى كتسبيحه ، والتعبد له ليلا ونهارا بدون ملل ولا فتور .[٢]

ونجد الإيمان بالملائكة في سورة المائدة مذكورا صراحة ودلالة :

أما الصراحة ففي قوله تعالى ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴿١١٠﴾﴾[٣] ، قال الطبري:« هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام».[٤]

وأما ذكر الملائكة دلالة فعند ذكر الإنزال والتنزيل كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾[٥] ، وقوله ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾[٦]، وقوله ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[٧]، وقوله ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ ﴾[٨]ونحوها من الآيات التي تتضمن الإيمان بالملائكة الكرام، لأنه من

(١) سورة البقرة آية:٢٨٥

(٢) انظر ياسين ، مرجع سابق ،ص٤١،العثيمين، مرجع سابق ، ص٩٠، فريد ، مرجع سابق ، ص٣١

(٣) سورة المائدة آية:١١٠

(٤) الطبري، مرجع سابق، ١٢٧/٥

(٥) سورة المائدة آية:٤٤

(٦) سورة المائدة آية:٤٨

(٧) سورة المائدة آية:٤٩

(٨) سورة المائدة آية: ٥٩

معلوم أن الله تعالى ينزل رسالاته على رسله وأنبيائه على يد الملك الموكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[1] .

أثر الإيمان بالملائكة في تزكية النفوس :

- أولاً : العلم بعظمة الله تعالى وقوته وسلطانه ، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق .
- ثانياً : شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم .
- ثالثاً : محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى ، والتأدب معهم ، وعد إيذائهم ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم .
- رابعاً : إن الله سبحانه جنبنا بما أطلعنا من أمر هذه الأرواح المؤمنة وأفعالها الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب،ولا يتلون معارفهم عن الوحي الإلهي.
- خامساً:الاستقامة على أمر الله تعالى ، فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة، ويؤمن برقابتهم لأعماله، وشهادتهم على كل تصرفاته ليستحي من الله ومن جنوده فلا يخالفه ولا يعصيه.[2]

المطلب الرابع : الإيمان بالكتب وأثره في تزكية النفوس:

ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله وأنبيائه كتبا وشرائع ، فنؤمن بأن نزولها من عند الله حقا ، ونؤمن بما علمنا اسمه منها كالقرآن الكريم

(١) سورة الشعراء الآيتان: ١٩٣، ١٩٤

(٢) انظر ياسين، مرجع سابق ، ص٥٧،العثيمين، مرجع سابق، ص٩٢، فريد ، مرجع سابق ، ص١٧٥

الذي أنزل على محمد ﷺ، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالا.[1] قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2].

والإيمان بالكتب يبرز في هذه السورة الكريمة في مواضع عديدة منها :

- أولاً: عند ذكر أهل الكتاب كما في قوله تعالى : ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾[3].
- وقوله : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾[4] ونحوهما من الآيات، ومعلوم أن المقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى ، وأن الكتاب المذكور هو التوراة والإنجيل .
- ثانياً : التصريح بأن الله تعالى أنزل التوراة وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾[5]، وآتى عيسى عليه السلام الإنجيل وقال تعالى : ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ ﴾[6]، وأنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ القرآن الكريم فقال سبحانه ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾[7].
- ثالثاً : ذم أهل الكتاب لعدم القيام بما أنزل الله إليهم من الكتب على الوجه الصحيح وتكاسلهم في ذلك وتحايلهم على أحكام الله المنزلة عليهم ، قال

---

(١) انظر ياسين ، مرجع سابق ،ص٧٩،العثيمين، مرجع سابق، ص٩٤، فريد ، مرجع سابق ، ص١٧٦

(٢) سورة البقرة آية:٢٨٥

(٣) سورة المائدة آية:٥

(٤) سورة المائدة آية:١٥

(٥) سورة المائدة آية: ٤٣

(٦) سورة المائدة آية: ٤٦

(٧) سورة المائدة آية: ٤٨

تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾[1] قال الطبري: «يَعْنِي تَعَالَى ذِكْره وَلَوْ أَنَّهُمْ عملوا بِمَا فِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ يَقُول: وَعَملُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبّهمْ مِنْ الْفُرْقَان الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّد ﷺ. وَأَمَّا مَعْنَى قَوْله: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي: لَأَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاء قَطْرهَا، فَأَنْبَتَتْ لَهُمْ بِهِ الْأَرْض حَبّهَا وَنَبَاتهَا فَأَخْرَجَ ثِمَارهَا»اهـ[2]

- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3] قال الطبري:» وَهَذَا أَمْر مِنْ اللَّه تَعَالَى ذِكْره نَبِيّه ﷺ بِإِبْلَاغِ الْيَهُود وَالنَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا بَيْن ظَهْرَانَيْ مُهَاجَره، يَقُول تَعَالَى ذِكْره لَهُ: قُلْ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ الْيَهُود وَالنَّصَارَى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل، لَسْتُمْ عَلَى شَيْء مِمَّا تَدَّعُونَ أَنَّكُمْ عَلَيْهِ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ مُوسَى عليه السلام مَعْشَر الْيَهُود، وَلَا مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ عِيسَى مَعْشَر النَّصَارَى، حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبّكُمْ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّد ﷺ مِنْ الْفُرْقَان، فَتَعْمَلُوا بِذَلِكَ كُلّه وَتُؤْمِنُوا بِمَا فِيهِ مِنْ الْإِيمَان بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقه، وَتُقِرُّوا بِأَنَّ كُلّ ذَلِكَ مِنْ عِنْد اللَّه، فَلَا تُكَذِّبُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ وَلَا تُفَرِّقُوا بَيْن رُسُل اللَّه فَتُؤْمِنُوا بِبَعْضٍ وَتَكْفُرُوا بِبَعْضٍ، فَإِنَّ الْكُفْر بِوَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ كُفْر بِجَمِيعِهِ ; لِأَنَّ كُتُب اللَّه يُصَدِّق بَعْضهَا بَعْضًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِبَعْضِهَا

(١) سورة المائدة آية: ٦٦

(٢) الطبري، مرجع سابق، ٤/٦٤٥

(٣) سورة المائدة آية: ٦٨

فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِهَا »اهـ[١].

- رابعاً : مدح المؤمنين بما أنزل اللّه تعالى من الحق المتبعين لأنبيائه ورسله ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾[٢] قال الطبري : «يَقُول : فَيْض دُمُوعهمْ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّ الَّذِي يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَاب اللَّه الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَى رَسُول اللَّه حَقّ»[٣].

أثر الإيمان بالكتب في تزكية النفوس :

- أولاً : العلم بعناية اللّه تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابا يهديهم به .
- ثانياً : العلم بحكمة اللّه تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾[٤] .
- ثالثاً : شكر نعمة اللّه في ذلك .[٥]

المطلب الخامس : الإيمان بالرسل وأثره في تزكية النفوس:

ومعناه : التصديق الجازم بأن اللّه تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، وينبغي الإيمان بأنهم كلهم صادقون مصدقون ، بارون راشدون ، أتقياء أمناء ،ويتضمن الإيمان بهم الإيمان بمن سمى اللّه تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه ، والإيمان بأن اللّه تعالى أرسل رسلا سواهم ، وأنبياء لا

(١) الطبري، مرجع سابق، ٤/٦٤٩
(٢) سورة المائدة الآيتان :٨٣، ٨٤
(٣) الطبري ، مرجع سابق ، ٥/٨
(٤) سورة المائدة آية:٤٨
(٥) انظر العثيمين، مرجع سابق، ص٩٥، فريد، مرجع سابق، ص١٨٠

يعلم عددهم ولا أسماءهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم[1] قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[2]،وقال تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[3] .

والإيمان بالرسل يتجلى في سورة المائدة في مواضع عديدة منها :

- أولاً : تقرير أن الله تعالى أرسل رسلا إلى الناس، وأنه سبحانه سيجمعهم ويسألهم كما قال تعالى:﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾[4]،وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾[5]،وقال تعالى:﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[6].
- ثانياً : ذكر أسماء بعض الأنبياء والرسل كما قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[7] .
- ثالثاً : بيانه سبحانه وظيفة الرسل وواجب المرسل إليهم كما قال تعالى : ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[8]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾[9]،وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[10].
- رابعاً : الخطاب المباشر من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ في الدنيا كما قال

(١) انظر ياسين ، مرجع سابق ،ص٥٩، العثيمين، مرجع سابق، ص٩٥، فريد، مرجع سابق، ص١٨١
(٢) سورة غافر آية:٧٨
(٣) سورة فاطر آية: ٢٤
(٤) سورة المائدة آية:١٠٩
(٥) سورة المائدة آية:٤٤
(٦) سورة المائدة آية:٧٥
(٧) سورة المائدة آية:٧٨
(٨) سورة المائدة آية:٩٩
(٩) سورة المائدة آية:١١١
(١٠) سورة المائدة آية:٩٢

تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾[1]، وكذلك خطاب الله تعالى لعيسى ابن مريم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2] .

أثر الإيمان بالرسل في تزكية النفوس :

- أولاً : العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك .
- ثانياً : : شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى .
- ثالثاً : محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم ، والثناء عليهم بما يليق بهم،لأنهم رسل الله تعالى ، ولأنهم قاموا بعبادته ، وتبليغ رسالته ، والنصح لعباده .[3]

المطلب السادس : الإيمان باليوم الآخر وأثره في تزكية النفوس:

ومعناه الإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه ، وأخبر به رسوله ﷺ ، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر عذابه ونعيمه ، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار ، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعا[4]. قال تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[5].

ومظاهر الإيمان باليوم الآخر تظهر في سورة المائدة في عدة آيات منها :

(١) سورة المائدة الآيتان: ٤١، ٦٧

(٢) سورة المائدة آية : ١١٦

(٣) العثيمين، مرجع سابق، ص٩٩، فريد ، مرجع سابق ، ص١٩١

(٤) انظر ياسين، مرجع سابق ، ص٨٩،العثيمين، مرجع سابق، ص١٠٠، فريد مرجع سابق، ص١٩٢

(٥) سورة البقرة آية:١٧٧

- أولاً : تقرير حقيقة يوم القيامة باسمه الصريح :وردت آيات تذكر اليوم الآخر باسم يوم القيامة مما يستلزم أنه حقيقة واقعة لا مرية فيه ولا شك، لأن خبر اللّه صدق وقوله حق ، فقال تعالى: ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1] ، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[2] .
- ثانياً : ذكر اليوم الآخر والآخرة وبيان أنه حق لا مرية فيه :وردت آيات تقرر وجود اليوم الآخر الذي يعقب هذه الحياة الدنيا ، وأن الآخرة هي دار القرار التي يصير إليها الناس بعد مفارقة الدنيا ، فقال تعالى : ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]، وقال تعالى عن الكافرين : ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[4]، وقال : ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5] .
- ثالثاً : بيان أن اليوم الآخر مرجع الناس والرسل إلى اللّه تعالى :جاءت آيات تؤكد أن مآل الناس إلى اللّه تعالى ، وأن مرجعهم إلى ربهم فيسألهم عن أعمالهم ويثيبهم عليها قال تعالى : ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[6] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾[7]،وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾[8]، وقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ

(١) سورة المائدة آية:٣٦
(٢) سورة المائدة آية:٦٤
(٣) سورة المائدة آية:٦٩
(٤) سورة المائدة آية:٥
(٥) سورة المائدة آية :٣٣
(٦) سورة المائدة آية:١٨
(٧) سورة المائدة آية:٤٨
(٨) سورة المائدة آية:١٠٩

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[(١)] .

- رابعاً : تقرير أن اليوم الآخر يوم الحساب والجزاء ودخول الجنة أو النار : اشتملت سورة المائدة على آيات تقرر أن يوم القيامة يوم الحساب والمناقشة ثم يبتع ذلك الجزاء إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قال تعالى : ﴿إن الله سريع الحساب﴾[(٢)] ، وقال تعالى: ﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِۚ ﴾[(٣)]، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[(٥)]، وقال سبحانه ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ ﴾[(٦)] .

أثر الإيمان باليوم الآخر في تزكية النفوس :

- أولاً : تحقيق الإخلاص لله تعالى ، والاتباع لرسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[(٧)] .

- ثانياً : الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم، والرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفا من عقاب ذلك اليوم .وأما رجاءٌ لا يقارنه شيء من العمل فهو من باب الأماني، والرجاء شيء، والأماني

(١) سورة المائدة آية:١١٦
(٢) سورة المائدة آية:٤
(٣) سورة المائدة آية:٢٩
(٤) سورة المائدة آية:٧٢
(٥) سورة المائدة آية: ١٠
(٦) سورة المائدة آية:١١٩
(٧) سورة الكهف آية:١١٠

شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»[1]. وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة، فعلم أن الرجاء والخوف النافع ما اقترن به العمل، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[2].

- ثالثاً : تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها[3] فيعلم أن عمله لا يضيع بل سيجزى به بدار النعيم المقيم قال سبحانه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾[4].

المطلب السابع : الإيمان بالقدر وأثره في تزكية النفوس:

ومعناه الإيمان بعلم الله تعالى القديم ، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور[5] :

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب (١٨) حديث(٢٤٥٠)

(٢) سورة المؤمنون الآيات : ٥٧-٦١

(٣) العثيمين ، مرجع سابق، ص١٠٥

(٤) سورة الكهف الآيتان: ٣٠-٣١.

(٥) انظر ياسين، مرجع سابق، ص١٤٨،العثيمين، مرجع سابق ، ص١١١، فريد ، مرجع سابق، ص٢٢١

- الأول : الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلا ،أزلا وأبدا ، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده .
- الثاني : الإيمان بأن الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[1].
- الثالث : الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى ، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[2] وقال تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].
- الرابع : الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها وحركاتها ، قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[4].

ومعالم الإيمان بالقدر تبرز في سورة المائدة في آيات عديدة منها :

- أولاً: تأكيد سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء :وردت آيات كريمة تقرر شمول علم الله لكل شيء كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[5]، وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾[6] ، وقال سبحانه: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ

(١) سورة الحج آية :١٧٠
(٢) سورة القصص آية :٦٨
(٣) سورة التكوير آية :٢٩
(٤) سورة الزمر آية :٦٢
(٥) سورة المائدة آية :٨
(٦) سورة المائدة آية :٦١

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[1] .

- ثانياً : إثبات أن الله قد كتب مقادير كل شيء :من الإيمان بالقدر العلم بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل شيء كما قال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[2] ، وقد وردت آيات تؤكد هذا المعنى منها قوله تعالى : ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[3] ،وقوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[4].
- ثالثاً : إثبات الإرادة والمشيئة لله تعالى :من الإيمان بالقدر الجزم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وقد ردت آيات تثبت صفة الإرادة لله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[5]،وقوله تعالى : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[6]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴿٤١﴾ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ﴾[8].
- رابعاً : إثبات أن الله تعالى خالق كل شيء :وردت آيات تقرر أن الله تعالى خالق شيء، فهو سبحانه الخالق وما عداه مخلوق مربوب ، قال تعالى:

---

(١) سورة المائدة آية :٩٧

(٢) سورة الأنعام آية : ٣٨

(٣) سورة المائدة آية:٢١

(٤) سورة المائدة آية:٣٢

(٥) سورة المائدة آية:١

(٦) سورة المائدة آية:٦

(٧) سورة المائدة آية:٤١

(٨) سورة المائدة آية:٤٩

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[2] .

- خامساً : إثبات الهداية والضلال :من أهم مباحث الإيمان بالقدر مبحث (الهداية والضلال) ، والمسلم يعتقد أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأن العبد له إرادة وقدرة يختار بهما طريق الاستقامة أو طريق الانحراف، وأن ذلك كله تابع لمشيئة الله وإرادته كما قال تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[3] .

وقد وردت آيات من سورة المائدة تقرر هذا الأصل فقال تعالى : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾[4]، وقال: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5]، وقال سبحانه : ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[6]،وقال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[7]،وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ﴾[8] .

أثر الإيمان بالقدر في تزكية النفوس :

- أولاً : الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه بل يعتمد بقلبه على الله تعالى ، ويعلم أن كل شيء بقدر الله تعالى .

(١) سورة المائدة آية : ١٧
(٢) سورة المائدة آية:١٨
(٣) سورة التكوير الآيتان: ٢٨-٢٩
(٤) سورة المائدة آية:١٦
(٥) سورة المائدة آية:١٦
(٦) سورة المائدة آية:١٢
(٧) سورة المائدة آية:٧٧
(٨) سورة المائدة آية:١٠٥

- ثانياً : أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصوله مراده ، لأن حصوله نعمة من الله تعالى مما قدره من أسباب الخير والنجاح ، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة .
- ثالثاً : الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى ، فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض ، وهو كائن لا محالة ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[1] .
- رابعاً : المؤمن بالقدر دائما على حذر :المؤمنون بالقدر دائما قال تعالى : ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[2]، فقلوب العباد دائمة التقلب والتغير، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء[3]، والفتن التي توجه سهامها إلى القلوب كثيرة ، والمؤمن يحذر دائما أن يأتيه ما يضله ، كما يخشى أن يختم له بخاتمة سيئة، وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والخمول ، بل يدفعه إلى المجاهدة الدائبة للاستقامة ، والإكثار من الصالحات ، ومجانبة المعاصي والموبقات.[4]

---

(١) سورة الحديد الآيتان: ٢٢-٢٣

(٢) سورة الأعراف آية:٩٩

(٣) عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :» إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء « ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :» اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك« أخرجه مسلم كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء حديث(٢٦٥٤)

(٤) انظر : العثيمين، مرجع سابق، ص١١٥، فريد ، مرجع سابق ،ص٢٥١، الأشقر،عمر سليمان،١٩٩٠م. القضاء والقدر . الكويت : دار النفائس،ط١.ص١٠٩

المبحث الثاني : تصحيح الاعتقاد وأثره في تزكية النفوس :

من مقاصد سورة المائدة بناء التصور الاعتقادي وتوضيحه وتخليصه من أساطير الوثنية، وانحرافات أهل الكتاب وتحريفاتهم ، وأهم قواعد البناء تخليص عقيدة التوحيد من كل غبش، وبيان معنى الدين ، وأنه هو منهج الحياة.[١]

ولا شك أن بعض السلوكيات الأخلاقية المنحرفة نتجت من انحرافات عقدية ، ولهذا نجد القرآن الكريم يربط بين التكذيب بالبعث وبين بعض التعاملات الفاسدة بين الناس قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾[٣]، وسيتناول هذا المبحث بعض المفاهيم العقدية المنحرفة لدى بعض أهل الكتاب والجاهليين ، وبيان كيف أبطلها القرآن الكريم وصحح تلك العقائد والتصورات لما لذلك من آثار دينية وسلوكية تعود على أصحاب العقائد الصحيحة والمفاهيم السديدة، وذلك في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : تصحيح بعض مفاهيم أهل الكتاب في سورة المائدة :

وردت آيات تتناول بعض العقائد المنحرفة والتصرفات الخاطئة التي كان يقوم بها أهل الكتاب، فجاء السورة الكريمة لتصحح تلك الاعتقادات وتوجه تلك التصرفات لما لذلك من أثر في القلوب والسلوكيات ، ومن تلك الآيات :

- أولاً : قوله تعالى :﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ

(١) قطب،سيد ١٩٨٢م. في ظلال القرآن .بيروت:دار الشروق ط١٠، ٢/٨٢٥

(٢) سورة المطففين الآيات :١-٥

(٣) سورة الماعون الآيات : ١-٣

ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

- قال ابن كثير : "لَمَّا أَمَرَ تَعَالَى عِبَاده الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَمِيثَاقه الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَان عَبْده وَرَسُوله مُحَمَّد ﷺ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ بِالْحَقِّ وَالشَّهَادَة بِالْعَدْلِ وَذَكَّرَهُمْ نِعَمه عَلَيْهِمْ الظَّاهِرَة وَالْبَاطِنَة فِيمَا هَدَاهُمْ لَهُ مِنْ الْحَقّ وَالْهُدَى شَرَعَ يُبَيِّن لَهُمْ كَيْف أَخَذَ الْعُهُود وَالْمَوَاثِيق عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلهمْ مِنْ أَهْل الْكِتَابَيْنِ : الْيَهُود وَالنَّصَارَى فَلَمَّا نَقَضُوا عُهُوده وَمَوَاثِيقه أَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ لَعْنًا مِنْهُ لَهُمْ وَطَرْدًا عَنْ بَابه وَجَنَابه وَحِجَابًا لِقُلُوبِهِمْ عَنْ الْوُصُول إِلَى الْهُدَى وَدِين الْحَقّ وَهُوَ الْعِلْم النَّافِع وَالْعَمَل الصَّالِح وَقَوْله : ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أَيْ: فَمَنْ خَالَفَ هَذَا الْمِيثَاق بَعْد عَقْده وَتَوْكِيده وَشَدِّهِ وَجَحَدَهُ وَعَامَلَهُ مُعَامَلَة مَنْ لَا يَعْرِفهُ فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيق الْوَاضِح وَعَدَلَ عَنْ الْهُدَى إِلَى الضَّلَال ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا حَلَّ بِهِمْ مِنْ الْعُقُوبَة عِنْد مُخَالَفَتهمْ مِيثَاقه وَنَقْضهمْ عَهْده ."[2]
- ثانياً : ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة آية:١٢

(٢) ابن كثير،مرجع سابق ، ٣٢/٢

(٣) سورة المائدة آية : ١٥

- قال ابن كثير : "أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه .[1]
- ثالثاً : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾[2].

قال الطاهر[3] : «كان أعظم ضلال النصارى ادعاؤهم إلهية عيسى عليه السلام، فإبطال زعمهم ذلك هو أهم أحوال إخراجهم من الظلمات إلى النور وهديهم إلى الصراط المستقيم، فاستأنف هذه الجملة ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ استئناف البيان. وتعين ذكر الموصول هنا لأن المقصود بيان ما في هذه المقالة من الكفر لا بيان ما عليه النصارى من الضلال، لأن ضلالهم حاصل لا محالة إذا كانت هذه المقالة كفرا.

وحكاية القول عنهم ظاهرة في أن هذا قالوه صراحة عن اعتقاد، إذ سرى لهم القول باتحاد اللاهوت بناسوت عيسى إلى حد أن اعتقدوا أن الله سبحانه قد اتحد بعيسى وامتزج وجود الله بوجود عيسى. وهذا مبالغة في اعتقاد الحلول. وللنصارى في تصوير هذا الحلول أو الاتحاد أصل، وهو أن الله تعالى جوهر واحد، هو مجموع ثلاثة أقانيم جمع أقنوم بضم الهمزة وسكون القاف

(١) ابن كثير،مرجع سابق ، ٣٣/٢

(٢) سورة المائدة آية:١٧

(٣) الطاهر : هو الطاهر بن محمد الشاذلي بن عاشور ، نقيب أشراف تونس وكبير علمائها في عصره ، من تصانيفه : التحرير والتنوير ، ومقاصد الشريعة ، توفي سنة١٢٨٤هـ (الأعلام ١٧٣/٦)

وهو كلمة رومية معناها: الأصل ، كما في القاموس؛ وهذه الثلاثة هي أقنوم الذات، وأقنوم العلم وأقنوم الحياة، وانقسموا في بيان اتحاد هذه الأقانيم بذات عيسى إلى ثلاثة مذاهب: مذهب الملكانية وهم الجاثلقية الكاثوليك ، ومذهب النسطورية، ومذهب اليعقوبية. ولقرب أصحابها الحبشة من بلاد العرب تصدى القرآن لبيان ردها هنا وفي الآية الآتية في هذه السورة.

وبين الله لرسوله الحجة عليهم بقوله ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآية، فالفاء عاطفة للاستفهام الإنكاري على قولهم: إن الله هو المسيح، للدلالة على أن الإنكار ترتب على هذا القول الشنيع، فهي للتعقيب الذكري. والتذييل بقوله ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ فيه تعظيم شأن الله تعالى. ورد آخر عليهم بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وملك ما فيها من قبل أن يظهر المسيح، فالله هو الإله حقا، وأنه يخلق ما يشاء، فهو الذي خلق المسيح خلقا غير معتاد، فكان موجب ضلال من نسب له الألوهية. وكذلك قوله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

رابعاً : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[2].

قال الطاهر : "مقال آخر مشترك بينهم وبين اليهود يدل على غباوتهم في الكفر إذ يقولون ما لا يليق بعظمة الله تعالى، ثم هو مناقض لمقالاتهم

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر .تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر ، الدار الجماهيرية للنشر ١٥١/٦،

(٢) سورة المائدة آية:١٨

الأخرى. عطف على المقال المختص بالنصارى، وهو جملة ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ﴾.وعطف ﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ على ﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ ﴾ أنهم قصدوا أنهم أبناء محبوبون إذ قد يكون الابن مغضوبا عليه.

وقد علم اللّه رسوله أن يبطل قولهم بنقضين : أولهما من الشريعة، وهو قوله ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ يعني أنهم قائلون بأن نصيبا من العذاب ينالهم بذنوبهم، فلو كانوا أبناء اللّه وأحباءه لما عذبهم بذنوبهم، وشأن المحب أن لا يعذب حبيبه وشأن الأب أن لا يعذب أبناءه.

وليس المقصود من هذا أن يرد عليهم بوقوع العذاب عليهم في نفس الأمر، من تقدير العذاب لهم في الآخرة على كفرهم، لأن ذلك لا يعترفون به فلا يصلح للرد به، إذ يصير الرد مصادرة، بل المقصود الرد عليهم بحصول عذاب يعتقدون حصوله في عقائد دينهم، سواء كان عذاب الآخرة أم عذاب الدنيا.

فأما اليهود فكتبهم طافحة بذكر العذاب في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ . وأما النصارى فلم أر في الأناجيل ذكرا لعذاب الآخرة إلا أنهم قائلون في عقائدهم بأن بني آدم كلهم استحقوا العذاب الأخروي بخطيئة أبيهم آدم، فجاء عيسى بن مريم مخلصا وشافعا وعرض نفسه للصلب ليكفر عن البشر خطيئتهم الموروثة، وهذا يلزمهم الاعتراف بأن العذاب كان مكتوبا على الجميع لولا كفارة عيسى فحصل الرد عليهم باعتقادهم به بله اعتقادنا.

ثم أخذت النتيجة من البرهان بقوله ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ أي ينالكم

ما ينال سائر البشر، وفي هذا تعريض أيضا بأن المسيح بشر، لأنه ناله ما ينال البشر من الأعراض والخوف، وزعموا أنه ناله الصلب والقتل.

وجملة قوله ﴿ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ كالاحتراس، لأنه لما رتب على نوال العذاب إياهم أنهم بشر دفع توهم النصارى أن البشرية مقتضية استحقاق العذاب بوراثة تبعة خطيئة آدم فقال: ﴿ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أي من البشر ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ [1].

- خامساً : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١ ﴾ [2].

وموضع الشاهد من الآية الكريمة قوله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ ، قال ابن كثير : " نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَات الْكَرِيمَات فِي الْمُسَارِعِينَ فِي الْكُفْر الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَة اللَّه وَرَسُوله الْمُقَدِّمِينَ آرَاءَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ عَلَى شَرَائِع اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾ أَيْ أَظْهَرُوا الْإِيمَان بِأَلْسِنَتِهِمْ وَقُلُوبهمْ خَرَاب خَاوِيَة مِنْهُ وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْمُنَافِقُونَ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ أَعْدَاء الْإِسْلَام وَأَهْله وَهَؤُلَاءِ كُلّهم ﴿ سَمَّٰعُونَ

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق، ١٥٧/٦

(٢) سورة المائدة آية: ٤١

﴿لِلْكَذِبِ﴾، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ قال :أي يتأولونه على غير تأويله ، ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون»[1].

يقول الطاهر بن عاشور : »وأما هاته الآية ففي ذكر طائفة معينة أبطلوا العمل بكلام ثابت في التوراة إذ ألغوا حكم الرجم الثابت فيها دون تعويضه بغيره من الكلام، فهذا أشد جرأة من التحريف الآخر، فكان قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أبلغ في تحريف الكلام، لأن لفظ ﴿بَعْدِ﴾ يقتضي أن مواضع الكلم مستقرة وأنه أبطل العمل بها مع بقائها قائمة في كتاب التوراة. والإشارة التي في قوله ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ إلى الكلم المحرف. والإيتاء هنا: الإفادة كقوله ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ، والأخذ: القبول، أي إن أجبتم بمثل ما تهوون فاقبلوه وإن لم تجابوه فاحذروا قبوله. وإنما قالوا: فاحذروا، لأنه يفتح عليهم الطعن في أحكامهم التي مضوا عليها وفي حكامهم الحاكمين بها.»[2]

- سادساً : ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢)﴾[3].

قال ابن كثير: "وَقَوْله ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ أَيْ يُبَادِرُونَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ تَعَاطِي الْمَآثِم وَالْمَحَارِم وَالِاعْتِدَاء عَلَى النَّاس وَأَكْلهمْ أَمْوَالهمْ بِالْبَاطِلِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَيْ لَبِئْسَ الْعَمَل كَانَ عَمَلهمْ وَبِئْسَ الِاعْتِدَاء اِعْتِدَاؤُهُمْ»[4].

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ٥٨/٢

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١٩٥/٦

(٣) سورة المائدة آية:٦٢

(٤) ابن كثير ، مرجع سابق ، ٧٤/٢

سابعاً : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[١].

قال ابن كثير:» يُخْبِر تَعَالَى عَنْ الْيَهُود عَلَيْهِمْ لَعَائِن اللَّه الْمُتَتَابِعَة إِلَى يَوْم الْقِيَامَة بِأَنَّهُمْ وَصَفُوهُ تَعَالَى عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا بِأَنَّهُ بَخِيل كَمَا وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ فَقِير وَهُمْ أَغْنِيَاء وَعَبَّرُوا عَنْ الْبُخْل بِأَنْ قَالُوا ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ ونقل عَنْ اِبْن عَبَّاس قَوْله ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قَالَ: لا يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ يَد اللَّه مُوثَقَة وَلَكِنْ يَقُولُونَ بَخِيل يَعْنِي أَمْسَكَ مَا عِنْده بُخْلا ، تَعَالَى اللَّه عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا وَقَدْ رَدَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ مَا قَالُوهُ وَقَابَلَهُمْ فِيمَا اِخْتَلَقُوهُ وَافْتَرَوْهُ وَائْتَفَكُوهُ فَقَالَ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ وَهَكَذَا وَقَعَ لَهُمْ فَإِنَّ عِنْدهمْ مِنْ الْبُخْل وَالْحَسَد وَالْجُبْن وَالذِّلَّة أَمْرًا عَظِيمًا [٢] .

- ثـامنـاً : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾[٣] .

قال ابن كثير : ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلا : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ أَيْ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاَللَّهِ وَرَسُوله وَاتَّقَوْا مَا كَانُوا يَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ الْمَآثِم وَالْمَحَارِم

(١) سورة المائدة آية: ٦٤

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، ٢/٧٥

(٣) سورة المائدة الآيتان: ٦٥-٦٦

﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ أَيْ لَأَزَلْنَا عَنْهُمُ الْمَحْذُور وَأَنَلْنَاهُمُ الْمَقْصُود . .

قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ ، قَالَ ابْن عَبَّاس وَغَيْره : هُوَ الْقُرْآن لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقهمْ وَمِنْ تَحْت أَرْجُلهمْ أَيْ لَأَنَّهُمْ عَمِلُوا بِمَا فِي الْكُتُب الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ عَنْ الْأَنْبِيَاء عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْر تَحْرِيف وَلَا تَبْدِيل وَلَا تَغْيِير لَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى اِتِّبَاع الْحَقّ وَالْعَمَل بِمُقْتَضَى مَا بَعَثَ اللَّه بِهِ مُحَمَّدًا – ﷺ – فَإِنَّ كُتُبهمْ نَاطِقَة بِتَصْدِيقِهِ وَالْأَمْر بِاتِّبَاعِهِ حَتْمًا لَا مَحَالَة "[1].

قال الطاهر : «عقب نهيهم وذمهم، بدعوتهم للخير بطريقة التعريض إذ جاء بحرف الامتناع فقال :﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ والمراد اليهود. والمراد بقوله ﴿آمَنُوا﴾ الإيمان بمحمد ﷺ ،وفي الحديث: "اثنان يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي أي عندما بلغته الدعوة المحمدية فله أجران، ورجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران".[2]

إقامة الشيء جعله قائما، واستعيرت الإقامة لعدم الإضاعة لأن الشيء المضاع يكون ملقى، ولذلك يقال له: شيء لقى، ولأن الإنسان يكون في حال

---

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ٢/٧٦

(٢) عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين.رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران ، ورجل كانت له آمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»أخرجه البخاري كتاب النكاح،باب اتخاذ السراري حديث(٥٠٨٣) ،ومسلم كتاب الإيمان باب وجوب لإيمان برسالة محمد صلة الله عليه وسلم حديث(١٥٤)

قيامه أقدر على الأشياء، فلذا قالوا: قامت السوق. فيجوز أن يكون معنى إقامة التوراة والإنجيل إقامة تشريعهما قبل الإسلام، أي لو أطاعوا أوامر اللّه وعملوا بها سلموا من غضبه فلأغدق عليهم نعمة، فاليهود آمنوا بالتوراة ولم يقيموا أحكامها كما تقدم آنفا، وكفروا بالإنجيل ورفضوه، وذلك أشد في عدم إقامته، وبالقرآن. وقد أومأت الآية إلى أن سبب ضيق معاش اليهود هو من غضب اللّه تعالى عليهم لإضاعتهم التوراة وكفرهم بالإنجيل وبالقرآن، أي فتحتمت عليهم النقمة بعد نزول القرآن.

ويحتمل أن يكون المراد: لو أقاموا هذه الكتب بعد مجيء الإسلام، أي بالاعتراف بما في التوراة والإنجيل من التبشير ببعثة محمد صلى اللّه عليه وسلم حتى يؤمنوا به وبما جاء به، فتكون الآية إشارة إلى ضيق معاشهم بعد هجرة الرسول إلى المدينة.»[١]

- تاسعاً : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٢] .

قال الطاهر : « هذا الذي أمر رسول اللّه ﷺ أن يقوله لأهل الكتاب هو من جملة ما ثبته اللّه على تبليغه بقوله ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ ، فقد كان رسول اللّه يحب تألف أهل الكتاب وربما كان يثقل عليه أن يجابههم بمثل هذا ولكن اللّه يقول الحق.

فيجوز أن تكون جملة ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ بيانا لجملة ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٦/٢٥٣

(٢) سورة المائدة آية:٦٨

﴿مِن رَّبِّكَ﴾، ويجوز أن تكون استئنافا ابتدائيا بمناسبة قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

والمقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا؛ فأما اليهود فلأنهم مأمورون بإقامة الأحكام التي لم تنسخ من التوراة، وبالإيمان بالإنجيل إلى زمن البعثة المحمدية، وبإقامة إحكام القرآن المهيمن على الكتاب كله؛ وأما النصارى فلأنهم أعرضوا عن بشارات الإنجيل بمجيء الرسول من بعد عيسى عليهما السلام.

ومعنى ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ نفي أن يكونوا متصفين بشيء من التدين والتقوى، لأن خوض الرسول لا يكون إلا في أمر الدين والهدى والتقوى.

والشيء اسم لكل موجود، فهو اسم متوغل في التنكير صادق بالقليل والكثير، ويبينه السياق أو القرائن. فالمراد هنا شيء من أمور الكتاب، ولما وقع في سياق النفي في هذه الآية استفيد نفي أن يكون لهم أقل حظ من الدين والتقوى ما داموا لم يبلغوا الغاية التي ذكرت، وهي أن يقيموا التوراة والإنجيل والقرآن. والمقصود نفي أن يكون لهم حظ معتد به عند الله، ومثل هذا النفي على تقدير الاعتداد شائع في الكلام.

والمقصود من الآية إنما هو إقامة التوراة والإنجيل عند مجيء القرآن بالاعتراف بما في التوراة والإنجيل من التبشير بمحمد ﷺ حتى يؤمنوا به وبما أنزل عليه.

وقد أومأت هذه الآية إلى توغل اليهود في مجانبة الهدى لأنهم قد عطلوا إقامة التوراة منذ عصور قبل عيسى، وعطلوا إقامة الإنجيل إذ أنكروه،

وأنكروا من جاء به، ثم أنكروا نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقيموا ما أنزل إليهم من ربهم.

وقد فندت هذه الآية مزاعم اليهود أنهم على التمسك بالتوراة وكانوا يزعمون أنهم على هدى ما تمسكوا بالتوراة ولا يتمسكون بغيرها. وقد قال بعض النصارى للرسول ﷺ في شأن تمسكهم بالإنجيل مثل قول بعض اليهود، كما في قصة إسلام عدي بن حاتم، وكما في مجادلة بعض وفد نجران»اهـ.[1]

- عاشراً: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

قال ابن كثير: "يَقُول تَعَالَى حَاكِمًا بِتَكْفِيرِ فِرَق النَّصَارَى: مِنْ الْمَلَكِيَّة وَالْيَعْقُوبِيَّة وَالنَّسْطُورِيَّة مِمَّنْ قَالَ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْمَسِيح هُوَ اللَّه، تَعَالَى اللَّه عَنْ قَوْلهمْ وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عُلُوًّا كَبِيرًا هَذَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ لَهُمْ أَنَّ الْمَسِيحَ عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَكَانَ أَوَّل كَلِمَة نَطَقَ بِهَا وَهُوَ صَغِير فِي الْمَهْد أَنْ قَالَ إِنِّي عَبْد اللَّه وَلَمْ يَقُلْ إِنِّي أَنَا اللَّه وَلَا ابْن اللَّه بَلْ قَالَ: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾، وَكَذَلِكَ

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٦/٢٦٤، يشير رحمه الله إلى ما ورد في قصة إسلام عدي بن حاتم من مراجعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الحديث أنه قدم عدي بن حاتم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ قال: فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال:» أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟» قال: قلت: بلى، قال:» فتلك عبادتهم» أخرجه الترمذي كتاب التفسير حديث(٣٠٩٥)، وأيضا ما ورد في قصة وفد نصارى نجران كما قال ابن كثير:» وَكَانَ سَبَب نُزُول هَذِهِ الْمُبَاهَلَة وَمَا قَبْلهَا مِنْ أَوَّل السُّورَة إِلَى هُنَا فِي وَفْد نَجْرَان: أَنَّ النَّصَارَى لَمَّا قَدِمُوا فَجَعَلُوا يُحَاجُّونَ فِي عِيسَى وَيَزْعُمُونَ فِيهِ مَا يَزْعُمُونَ مِنْ الْبُنُوَّة وَالْإِلَهِيَّة فَأَنْزَلَ اللَّه فِي صَدْر هَذِهِ السُّورَة رَدًّا عَلَيْهِمْ»(تفسير القرآن العظيم ١/٣٦٨)

(٢) سورة المائدة آية: ٧٢

قَالَ لَهُمْ فِي حَال كُهُولَته وَنُبُوَّته آمرًا لَهُمْ بِعِبَادَة اللَّه رَبّه وَرَبّهمْ وَحْده لَا شَرِيك لَهُ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ أَيْ: فَيَعْبُد مَعَهُ غَيْرَهُ ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ أَيْ فَقَدْ أَوْجَبَ لَهُ النَّار وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّة كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ، وَفِي الصَّحِيح أَنَّ النَّبِيّ - ﷺ - بَعَثَ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي النَّاس : "إِنَّ الْجَنَّة لَا يَدْخُلهَا إِلَّا نَفْس مُسْلِمَة وَفِي لَفْظ مُؤْمِنَة"[1]، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ الْمَسِيح أَنَّهُ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيل إِنَّهُ مَنْ يُشْرِك بِاَللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّه عَلَيْهِ الْجَنَّة وَمَأْوَاهُ النَّار وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَار "أَيْ وَمَا لَهُ عِنْد اللَّه نَاصِر وَلَا مُعِين وَلَا مُنْقِذ مِمَّا هُوَ فِيهِ"[2].

وقال الطاهر : «استئناف ابتدائي لإبطال ما عليه النصارى، يناسب الانتهاء من إبطال ما عليه اليهود. والواو في قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ ﴾ واو الحال. والجملة حال ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ﴾ ، أي قالوا ذلك في حال نداء المسيح لبني إسرائيل بأن الله ربه وربهم، أي لا شبهة لهم، فهم قالوا: إن الله اتحد بالمسيح؛ في حال أن المسيح الذي يزعمون أنهم آمنوا به والذي نسبوه إليه قد كذبهم، لأن قوله: ربي وربكم، يناقض قولهم: إن الله هو المسيح، لأنه لا يكون إلا مربوبا، وذلك مفاد قوله ﴿ رَبِّى ﴾، ولأنه لا يكون مع الله إله آخر، وذلك مفاد قوله ﴿ وَرَبَّكُمْ ﴾ ، ولذلك عقب بجملة ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ . فيجوز أن تكون هذه الجملة حكاية لكلام صدر من عيسى عليه السلام فتكون تعليلا للأمر بعبادة الله. ووقوع

(١) أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب كيف الحشر حديث(٦٥٢٨)

(٢) ابن كثير، مرجع سابق ، ٢/ ٨١

﴿إِنَّ﴾ في مثل هذا المقام تغني غناء فاء التفريع وتفيد التعليل.

وفي حكايته تعريض بأن قولهم ذلك قد أوقعهم في الشرك وإن كانوا يظنون أنهم اجتنبوه حذرا من الوقوع فيما حذر منه المسيح، لأن الذين قالوا: إن الله هو المسيح. أرادوا الاتحاد بالله وأنه هو هو. وذلك شرك لا محالة، بل هو أشد، لأنهم أشركوا مع الله غيره ومزجوه به فوقعوا في الشرك وإن راموا تجنب تعدد الآلهة، فقد أبطل الله قولهم بشهادة كلام من نسبوا إليه الإلهية إبطالا تاما.

وإن كانت الجملة من كلام الله تعالى فهو تذييل إثبات كفرهم وزيادة تنبيه على بطلان معتقدهم وتعريض بهم بأنهم قد أشركوا بالله من حيث أرادوا التوحيد".[1]

- حادي عشر: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[2].

قال ابن كثير: "قَوْله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ الصَّحِيح أَنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي النَّصَارَى خَاصَّة قَالَهُ مُجَاهِد[3] وَغَيْر وَاحِد، ثُمَّ اِخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ فَقِيلَ: الْمُرَاد بِذَلِكَ كُفَّارهمْ فِي قَوْلهمْ بِالْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَة وَهُوَ: أُقْنُوم الْأَب وَأُقْنُوم الِابْن وَأُقْنُوم الْكَلِمَة الْمُنْبَثِقَة مِنْ الْأَب إِلَى الِابْن تَعَالَى اللَّه عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا، قَالَ اِبْن جَرِير وَغَيْره: وَالطَّوَائِف الثَّلَاثَة

(١) عاشور، مرجع سابق، ٦/ ٢٨٠
(٢) سورة المائدة آية: ٧٣
(٣) مجاهد: هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج، مولى قيس بن السائب المخزومي، شيخ المفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، كان ثقة ورعا عابدا متقنا ،أجمعت الأمة على إمامته، توفي سنة ١٠٤هـ(الأعلام٦/ ١٦١)

مِنْ الْمَلَكِيَّة وَالْيَعْقُوبِيَّة وَالنَّسْطُورِيَّة تَقُول بِهَذِهِ الْأَقَانِيم وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِيهَا اخْتِلَافًا مُتَبَايِنًا لَيْسَ هَذَا مَوْضِع بَسْطه ،وَكُلّ فِرْقَة مِنْهُمْ تُكَفِّر الْأُخْرَى ، وَالْحَقّ أَنَّ الثَّلَاثَة كَافِرَة.

وَقَالَ السُّدِّيّ وَغَيْره : نَزَلَتْ فِي جَعْلِهِمْ الْمَسِيح وَأُمّه إِلَهَيْنِ مَعَ اللَّه فَجَعَلُوا اللَّه ثَالِث ثَلَاثَة بِهَذَا الِاعْتِبَار، قَالَ السُّدِّيّ وَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخِر السُّورَة: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ الْآيَة وَهَذَا الْقَوْل هُوَ الْأَظْهَر وَاَللَّه أَعْلَم [1].

قَالَ اللَّه تَعَالَى : ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أَيْ: لَيْسَ مُتَعَدِّدًا بَلْ هُوَ وَحْده لَا شَرِيك لَهُ إِنَّهُ جَمِيع الْكَائِنَات وَسَائِر الْمَوْجُودَات، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ وَمُتَهَدِّدًا :﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ أَيْ: مِنْ هَذَا الِافْتِرَاء وَالْكَذِب ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أَيْ فِي الْآخِرَة مِنْ الْأَغْلَال وَالنَّكَال [2].

- ثاني عشر:قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[3].

قال ابن كثير : "قَالَ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أَيْ لَا تُجَاوِزُوا الْحَدّ فِي اِتِّبَاع الْحَقّ وَلَا تُطْرُوا مَنْ أُمِرْتُمْ بِتَعْظِيمِهِ فَتُبَالِغُوا فِيهِ حَتَّى تُخْرِجُوهُ عَنْ حَيِّز النُّبُوَّة إِلَى مَقَام الْإِلَهِيَّة كَمَا صَنَعْتُمْ فِي الْمَسِيح وَهُوَ نَبِيّ مِنْ الْأَنْبِيَاء فَجَعَلْتُمُوهُ إِلَهًا مِنْ دُون اللَّه وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِاقْتِدَائِكُمْ بِشُيُوخِكُمْ

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ٨٢/٢
(٢) ابن كثير، مرجع سابق، ٨١/٢
(٣) سورة المائدة آية:٧٧

شُيُوخ الضَّلَال الَّذِينَ هُمْ سَلَفكُمْ مِمَّنْ ضَلَّ قَدِيمًا ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أَيْ وَخَرَجُوا عَنْ طَرِيق الِاسْتِقَامَة وَالِاعْتِدَال إِلَى طَرِيق الْغَوَايَة وَالضَّلَال"[1]

قال الطاهر : « الخطاب لعموم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.والغلو مصدر غلا في الأمر: إذا جاوز حده المعروف. فالغلو الزيادة في عمل على المتعارف منه بحسب العقل أو العادة أو الشرع. وهذا نهي لأهل الكتاب الحاضرين عن متابعة تعاليم الغلاة من أحبارهم ورهبانهم الذين أساءوا فهم الشريعة عن هوى منهم مخالف للدليل. فلذلك سمي تغاليهم أهواء، لأنها كذلك في نفس الأمر وإن كان المخاطبون لا يعرفون أنها أهواء فضلوا ودعوا إلى ضلالتهم فأضلوا كثيرا مثل قيافا حبر اليهود الذي كفر عيسى عليه السلام وحكم بأنه يقتل، ومثل المجمع الملكاني الذي سجل عقيدة التثليث.» [2]

المطلب الثاني : تصحيح بعض مفاهيم أهل الجاهلية :

سورة المائدة من أواخر ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله r ، ومع ذلك فلا تزال تصحح بعض المفاهيم الجاهلية الباطلة والعقائد الوثنية المنحرفة التي كان عليها الناس قبل بعثة النبي ﷺ ، ومن ذلك :

- أولاً : قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ٨٢/٢

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق، ٢٩٠/٦

كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

موضع الشاهد من الآية الكريمة قوله تعالى :﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾

وهي من العادات الجاهلية المستقرة في أذهانهم ومجتمعاتهم ،قال ابن كثير: " وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ أَيْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيّهَا الْمُؤْمِنُونَ الِاسْتِقْسَام بِالْأَزْلَامِ ، وَاحِدهَا زُلَم وَقَدْ تُفْتَح الزَّاي فَيُقَال: زَلَم ، وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَب فِي جَاهِلِيَّتهَا يَتَعَاطَوْنَ ذَلِكَ وَهِيَ عِبَارَة عَنْ قِدَاح ثَلَاثَة عَلَى أَحَدهَا مَكْتُوب اِفْعَلْ وَعَلَى الْآخَر لَا تَفْعَلْ وَالثَّالِث غُفْلٌ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْء . وَمِنْ النَّاس مَنْ قَالَ مَكْتُوب عَلَى الْوَاحِد أَمَرَنِي رَبِّي ، وَعَلَى الْآخَر نَهَانِي رَبِّي ، وَالثَّالِث غُفْل لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْء ، فَإِذَا أَجَالَهَا فَطَلَعَ سَهْم الْأَمْر فَعَلَهُ أَوْ النَّهْي تَرَكَهُ ، وَإِنْ طَلَعَ الْفَارِغ أَعَادَ .

وَالِاسْتِقْسَام مَأْخُوذ مِنْ طَلَب الْقَسْم مِنْ هَذِهِ الْأَزْلَام هَكَذَا قَرَّرَ ذَلِكَ أَبُو جَعْفَر بْن جَرِير."(٢)

وعَنْ اِبْن عَبَّاس : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ قَالَ: وَالْأَزْلَام قِدَاح كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا فِي الْأُمُور ، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ لَمَّا دَخَلَ الْكَعْبَة وَجَدَ إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل مُصَوَّرَيْنِ فِيهَا وَفِي أَيْدِيهمَا الْأَزْلَام فَقَالَ: "قَاتَلَهُمْ اللَّه لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا أَبَدًا" (٣).

قوله تعالى ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أَيْ تَعَاطِيه فِسْق وَغَيٌّ

(١) سورة المائدة آية:٣

(٢) الطبري، مرجع سابق ٣٩٣/٤

(٣) أخرجه البخاري كتاب الحج باب من كبر في نواحي الكعبة حديث(١٦٠١)

وَضَلَالَة وَجَهَالَة وَشِرْك، وَقَدْ أَمَرَ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَرَدَّدُوا فِي أُمُورهمْ أَنْ يَسْتَخِيرُوهُ بِأَنْ يَعْبُدُوهُ ثُمَّ يَسْأَلُوهُ الْخِيَرَة فِي الْأَمْر الَّذِي يُرِيدُونَهُ "[1].

ثم ذكر حديث جَابِر بْن عَبْد اللَّه قَالَ: رَسُول اللَّه – ﷺ – يُعَلِّمنَا الِاسْتِخَارَة فِي الْأُمُور كَمَا يُعَلِّمنَا السُّورَة مِنْ الْقُرْآن وَيَقُول: "إِذَا هَمَّ أَحَدكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْر الْفَرِيضَة ثُمَّ لِيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرك بِعِلْمِك وَأَسْتَقْدِرك بِقُدْرَتِك وَأَسْأَلك مِنْ فَضْلك الْعَظِيم فَإِنَّك تَقْدِر وَلَا أَقْدِر وَتَعْلَم وَلَا أَعْلَم وَأَنْتَ عَلَّام الْغُيُوب اللَّهُمَّ إِنْ كُنْت تَعْلَم أَنَّ هَذَا الْأَمْر – وَيُسَمِّيه بِاسْمِهِ – خَيْر لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَمَعَاشِي وَعَاقِبَة أَمْرِي أَوْ – قَالَ عَاجِل أَمْرِي وَآجِله – فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْت تَعْلَم أَنَّهُ شَرّ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَمَعَاشِي وَعَاقِبَة أَمْرِي فَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْر حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ"[2].

- ثانيـاً: قولـه تعـالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾[3].

قال الطاهر: "الاستفهام إنكاري، لأنهم طلبوا حكم الجاهلية. وحكم الجاهلية هو ما تقرر بين اليهود من تكايل الدماء الذي سرى إليهم من أحكام أهل يثرب، وهم أهل جاهلية، فإن بني النضير لم يرضوا بالتساوي مع قريظة كما تقدم؛ وما وضعوه من الأحكام بين أهل الجاهلية، وهو العدول عن الرجم الذي هو حكم التوراة،والواو في قوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ واو الحال، وهو اعتراض، والاستفهام إنكاري في معنى النفي، أي لا أحسن

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٢/١٢
(٢) أخرجه البخاري كتاب التهجد باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى حديث(١١٦٢)
(٣) سورة المائدة آية: ٥٠

منه حكما. وهو خطاب للمسلمين، إذ لا فائدة في خطاب اليهود بهذا". [1]

قال ابن كثير:» قَوْله تَعَالَى ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يُنْكِر تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْم اللَّه الْمُحْكَم الْمُشْتَمِل عَلَى كُلّ خَيْر ، النَّاهِي عَنْ كُلّ شَرّ ، وَعَدَلَ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنْ الْآرَاء وَالْأَهْوَاء وَالِاصْطِلَاحَات الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَال بِلَا مُسْتَنَد مِنْ شَرِيعَة اللَّه ، كَمَا كَانَ أَهْل الْجَاهِلِيَّة يَحْكُمُونَ بِهِ مِنْ الضَّلَالَات وَالْجَهَالَات مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أَيْ وَمَنْ أَعْدَلُ مِنْ اللَّه فِي حُكْمه لِمَنْ عَقَلَ عَنْ اللَّه شَرْعه وَآمَنَ بِهِ وَأَيْقَنَ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّه أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ الْوَالِدَة بِوَلَدِهَا فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالِم بِكُلِّ شَيْء الْقَادِر عَلَى كُلّ شَيْء الْعَادِل فِي كُلّ شَيْء«[2].

- ثالثاً : قوله تعالى :﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [3]

قال الطاهر : "استئناف ابتدائي جاء فارقا بين ما أحدثه أهل الجاهلية من نقائض الحنيفية وبين ما نوه الله به مما كانوا عليه من شعائر الحج، فإنه لما بين أنه جعل الكعبة قياما للناس وجعل الهدي والقلائد قياما لهم، بين هنا أن أمورا ما جعلها الله ولكن جعلها أهل الضلالة ليميز الخبيث من الطيب، فيكون كالبيان لآية ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ .

فإن البحيرة وما عطف عليها هنا تشبه الهدي في أنها تحرر منافعها وذواتها حية لأصنامهم كما تهدى الهدايا للكعبة مذكاة، فكانوا في الجاهلية يزعمون

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٦/٢٢٨

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، ٢/٦٧

(٣) سورة المائدة آية:١٠٣

أن اللّه شرع لهم ذلك ويخلطون ذلك بالهدايــا، ولذلـك قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، وقال في هذه الآية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ﴾ فالتصدي للتفرقة بين الهدى وبين البحيرة والسائبة ونحوهما، كالتصدي لبيان عدم التفرقة بين الطواف وبين السعي للصفا والمروة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، وقد قدمنا ما رواه مجاهد عن ابن عباس: أن ناسا سألوا رسول اللّه ﷺ عن البحيرة والسائبة ونحوهما فنزلت هذه الآية.

والجعل هنا بمعنى الأمر والتشريع، لأن أصل ﴿جَعَلَ﴾ إذا تعدى إلى مفعول واحد أن يكون بمعنى الخلق والتكوين، ثم يستعار إلى التقدير والكتب كما في قولهم: فرض عليه جعالة، وهو هنا كذلك فيؤول إلى معنى التقدير والأمر بخلاف ما وقع في قوله ﴿جعل اللّه الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾.

فالمقصود هنا نفي تشريع هذه الأجناس من الحقائق فإنها موجودة في الواقع. فنفي جعلها متعين لأن يكون المراد منه نفي الأمر والتشريع، وهو كناية عن عدم الرضا به والغضب على من جعله، كما يقول الرجل لمن فعل شيئا: ما أمرتك بهذا. فليس المراد إباحته والتخيير في فعله وتركه كما يستفاد من المقام، وأدخلت ﴿مِنْ﴾ الزائدة بعد النفي للتنصيص على أن النفي نفي الجنس لا نفي أفراد معينة، فقد ساوى أن يقال: لا بحيرة ولا سائبة مع قضاء حق المقام من بيان أن هذا ليس من جعل اللّه وأنه لا يرضى به فهو حرام.

وفي تسمية ما فعله الكفار من هذه الأشياء افتراء وكذبا ونفي أن يكون الله أمر به ما يدل على أن تلك الأحداث لا تمت إلى مرضاة الله تعالى بسبب من جهتين: إحداهما أنها تنتسب إلى الآلهة والأصنام، وذلك إشراك وكفر عظيم. الثانية أن ما يجعل منها لله تعالى مثل السائبة هو عمل ضره أكثر من نفعه، لأن في تسييب الحيوان إضرارا به إذ ربما لا يجد مرعى ولا مأوى، وربما عدت عليه السباع، وفيه تعطيل منفعته حتى يموت حتف أنفه. وما يحصل من در بعضها للضيف وابن السبيل إنما هو منفعة ضئيلة في جانب المفاسد الحافة به». [١]

وفي ختام هذا الفصل تبين أن سورة المائدة قد تناولت تزكية النفوس من خلال ترسيخ الإيمان بتقرير أركان الإيمان.وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر - في نفوس المؤمنين لما لذلك من آثار عظيمة في دين المسلم وسلوكه ، فالإيمان بالله تعالى يورث المسلم رقابة واستقامة وخوفا ورجاء ومحبة وتعظيما يظهر في عبادته وسلوكه ، وكذلك بقية أركان الإيمان - كما تقدم - .

كما أن السورة الكريمة تناولت تزكية النفوس من خلال تصحيح بعض الاعتقادات الفاسدة وتوجيه بعض المفاهيم الخاطئة ، لأن السلوك يتبع العقائد والتصورات، فاستقامة العقيدة يستلزم استقامة السلوك غالبا ، إلا في أحوال استثنائية حيث يعترض ذلك عقبات ومؤثرات خارجية وداخلية تصرف الإنسان عن جادة الحق والصواب إلى طرق الغواية والانحراف ، إلا من تولاه الله بلطفه وتداركه برحمته .

(١) ابن عاشور، مرجع سابق ، ٧/ ٥٥٥

الفصل الثاني

معالم منهج تزكية النفوس من خلال القصص والأخبار

القصص القرآني : إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة ، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي ، وتاريخ الأمم ، وذكر البلاد والديار ، وتتبع آثار كل قوم ، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[(١)].

وقد اهتم القرآن بالأسلوب القصصي بين ثناياه ،لأنه وسيلة محببة إلى النفس لتبليغ دعوة الله تعالى ، ومن أهم دلائل هذا الاهتمام ما يأتي :

١. ورود القصص منسوبة إلى رب العز والجلال في قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[(٢)] ، وقوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾[(٣)].

٢. أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقص على الناس ما أوحي إليه فقال: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[(٤)].

٣. القصة معلم بارز من معالم القرآن الكريم لتوضيح الحقائق وتبيين السبل كما جاء في سورة النمل : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[(٥)].

٤. حياة الأنبياء ـ التي هي موضوع قصص القرآن ـ موضع القدوة والأسوة ، وقد أمر الله تعالى رسوله بالاقتداء بهم بعد أن سرد طرفا من أخبارهم فقال :

(١) القطان، مناع ،١٩٨١م.مباحث في علوم القرآن .بيروت:مؤسسة الرسالة ط٨ ، ص٣٩٦
(٢) سورة يوسف آية :٣
(٣) سورة الأنعام آية :٥٧
(٤) سورة الأعراف آية :١٧٦
(٥) سورة النمل آية :٧٦

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[1]. [2]

وقصص القرآن متناسق في منهجه التربوي مع منهج القرآن ، فهو تطبيق بالمثال الحي لهذا المنهج المتكامل ، ففي قصص القرآن إذاً تربية دينية لها أثر عميق في النفوس مصدرها عقيدة تضم الخالق والإنسان والكون ، وتقوم على أساس أن كل خلق كريم هو في ذلك الشعور الباطن، وهو الإيمان بالله الذي جعل الكون معرضا رائعا تتجلى فيها حقيقة الألوهية بآثارها .

والحقيقة التي يؤكدها القصص القرآني أن موازين القيم والأخلاق مرتبطة بميزان الله ، فالكفر ظلمة وضلال، والإيمان نور وهداية ، فلا إصلاح بغير عقيدة ، ولا تربية بغير إيمان ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[3]، ولذلك كان للقصة القرآنية دور عظيم في تربية العقيدة وتعهدها وتنميتها ، إذ ليست الغاية من التربية سوى تكوين العواطف الصالحة ، ولكن هذه العواطف لا تصبح أساسا للخلق الكريم إلا إذا تحولت إلى اتجاهات يكون ينبوعها الدائم هو العقيدة ، مصدر الإيمان والخير .[4]

وقد ورد في سورة المائدة بعض القصص والأخبار التي اشتملت على بعض الفوائد والحكم والأحكام ، منها على سبيل المثال :

- **أولاً : قصة موسى عليه السلام مع قومه :**

قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ

(١) سورة الأنعام آية : ٩٠

(٢) الشطي،سليمان ناصر ،٢٠٠٣م.قصص القرآن الكريم.الكويت: مكتبة المنار ،ط١، ص ١٠

(٣) سورة النور آية : ٤٠

(٤) مطاوع،سعيد عطية،٢٠٠٦م. الإعجاز القصصي في القرآن.القاهرة: دار الآفاق العربية،ط١.ص ١٢٨

فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ
ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ
﴿٢١﴾ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ
وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ
فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ
يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] .

من فوائد هذه القصة الكريمة :

١. التذكير بالنعم يقتضي الشكر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الألوسي : "أي :اذكروا إنعامه عليكم بالشكر"[2]، وقال ابن سعدي : "كان الله قد فرض عليهم جهاد عدوهم ، ليخرجوه من ديارهم، فوعظهم موسى عليه السلام، وذكرهم ليقووا على الجهاد فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بقلوبكم وألسنتكم، فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة".

قال: "فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته ،

(١) سورة المائدة الآيات٢٠-٢٦

(٢) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، ٢٠٠٥ .روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.القاهرة :دار الحديث٦/٣٨٨

وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه ولهذا قال: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾"[1].

٢. فضل اليقين والثقة بالله تعالى ووعده ،وذلك في قوله تعالى :﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ﴾ قال ابن سعدي : "أنعم الله عليهما بالتوفيق وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم ، وأنعم عليهم بالصبر واليقين"[2].

٣. فضل التوكل على الله تعالى ،لاسيما في أمر الجهاد ومدافعة الأعداء ،قال ابن سعدي: "أمرهم بعدة هي أقوى العدد فقال : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ فإن في التوكل على الله - وخصوصا في هذا الموطن - تيسيرا للأمر ، ونصرا على الأعداء ، ودل هذا على وجوب التوكل ، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله"[3].

٤. نقض عهد الله تعالى سبب العقوبة ، قال القاسمي : "في هذه القصة أوضح دليل على نقضهم للعهود التي بنيت السورة على طلب الوفاء بها ، وافتتحت بها ، وصرح بأخذها عليهم في قوله : ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٢﴾ ﴾[4] وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ فيما يفعلونه معه"[5]، وقال ابن كثير : "تضمنت هذه القصة تقريع اليهود، وبيان فضائحهم ومخالفتهم

(١) السعدي،عبد الرحمن بن ناصر،٢٠٠٠م.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي،ط٥، ص٢٧٦

(٢) السعدي، مرجع سابق، ص٢٧٧

(٣) السعدي ، مرجع سابق،ص٢٧٧

(٤) سورة المائدة آية: ١٢

(٥) القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل.القاهرة:دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٣٦/٦

للّه ولرسوله، ونكولهم عن طاعتهما فيما أمراهم به من الجهاد ، فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم ، مع أن بين أظهرهم رسول اللّه وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم"[1].

٥. العقوبة قد تكون بسلب النعمة ، قال ابن سعدي : "وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها ، أو تأخرها إلى وقت آخر"[2].

٦. لا يحزن على من استحق العقاب، قال القاسمي[3] : "قال الحاكم : دل قوله تعالى : ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ على أن من لحقه عقاب اللّه لا يجوز أن يحزن عليه لأن ذلك حكمه ، بل يحمد اللّه تعالى إذا أهلك عدوا من أعدائه"[4].

٧. الدعاء سلاح المؤمن ، وملاذه عند اشتداد الأمور ، قال القاسمي: "﴿ قَالَ ﴾ أي: موسى عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد ، على طريقة البث والحزن والشكوى إلى اللّه تعالى ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ ﴾ أي:أحدا ألزمه بقتالهم ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ هارون ، ﴿ فَٱفْرُقْ ﴾ أي: فأحكم بما يميز بين المحق والمبطل لتفرق ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي: الخارجين عن

(١) ابن كثير ، مرجع سابق، ٢/٤٠

(٢) السعدي ، مرجع سابق ، ص٢٧٨

(٣) القاسمي : هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح ، علامة الشام ، مجدد لعلوم الإسلام ، فقيه أصولي ، مفسر محدث ، أديب متفنن ، صاحب التصانيف الممتعة ، منها محاسن اتأويل ، وقواعد التحديث ، توفي سنة ١٩١٣م (قواعد التحديث ص٢٣)

(٤) القاسمي ، مرجع سابق ، ١٩٣٨/٦

أمرك ، وهو في معنى الدعاء عليهم ، وقد استجاب الله دعاءه ، وفرق بأن أضلهم ظاهرا كما ضلوا باطنا"[1].

٨. من عوائق الملك حصول المذلة والانقياد : قال ابن خلدون[2] في مقدمة العبر: "إن المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدتها ، فإن انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها، فما رئموا (ألفوا) للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ، ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة، واعتبر ذلك في بني إسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام إلى ملك الشام ، وأخبرهم أن الله قد كتب لهم ملكها ، كيف عجزوا عن ذلك ، وما ذلك إلا لما آنسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة ، كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها ، و ذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد ، وما رئموا من الذل للقبط أحقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة"[3].

- **ثانياً : قصة ابني آدم عليه السلام :**

قال تعالى : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ

(١) القاسمي ، مرجع سابق ، ١٩٣٥/٦

(٢) ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن أبو زيد الحضرمي الأشبيلي الأصلي التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بابن خلدون ، عالم أديب مؤرخ اجتماعي حكيم ، ولي قضاء المالكية بمصر ، وأخذ الفقه عن قاضي الجماعة ابن عبد السلام ، من تصانيفه : العبر ، وشرح البردة ، توفي سنة٨٠٨هـ (الأعلام٣/٣٣٠)

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد .مقدمة ابن خلدون .بيروت:دار الجيل، ص١٥٥

﴿فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[١]

من فوائد هذه القصة الكريمة :

١. تعظيم حرمة الدماء : وقد كانت في الشرائع السالفة عظيمة ، وازدادت في هذا الدين حرمة ، قال النبي ﷺ: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" فقيل له : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال : "إنه كان حريصا على قتل صاحبه"[٢]، وقال ﷺ: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[٣].

٢. بيان ثمرة التقوى :وكيف أنها سبب لقبول الأعمال التي بها نجاة العبد في الدنيا والآخرة ، فإن المعول عليه وشرط القبول هو تقوى الله تعالى ، قال بعض السلف: لو أعلم أن الله تعالى يقبل مني سجدة بالليل وسجدة بالنهار لطرت شوقا إلى الموت ، إن الله تعالى يقول :﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٤].

٣. عظم الابتداع في دين الله تعالى :فكل من ابتدع بدعة ضلالة تحمل وزرها ووزر من عمل بها ، قال النبي ﷺ: "لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سنّ القتل"[٥].

٤. بيان عقوبات المعاصي : وكيف أنها يولد بعضها بعضا ، فتهاون ابن آدم في حدود الله تعالى وما اقترفه من معاص كان سببا في عدم قبول قربانه، ثم

(١) سورة المائدة الآيات:٢٧-٣١

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما حديث(٢٨٨٨)

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب خوف المسلم من أن يحبط عمله وهو لا يشعر حديث(٤٨) ، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان قول النبي ﷺ :«سباب المسلم فسوق»حديث(٦٤)

(٤) سورة المائدة آية :٢٧

(٥) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب خلق آدم وذريته حديث(٣٣٣٥)، ومسلم كتاب القسامة باب بيان إثم م سن القتل حديث(١٦٧٧)

كان عدم قبول قربانه وقبول قربان أخيه سببا في حسد أخيه والإقدام على سفك دمه، وفيها كذلك خطر الحسد والبغضاء، وقد حذرنا النبي ﷺ منهما فقال : "دبّ إليكم داء الأمم قبلكم؛الحسد والبغضاء ، وهي الحالقة لا أقول : تحلق الشعر ،ولكن تحلق الدين"[1].[2]

قال القاسمي: "بين تعالى عاقبة البغي والحسد في جزاء ابني آدم لصلبه، تعريضا باليهود، وأنهم إن أصروا على بغيهم وحسدهم فسيرجعون بالصفة الخاسرة في الدارين"[3].

وهناك قصص وأخبار أخرى في السورة الكريمة لا يتسع المقام لذكرها وعرض فوائدها وثمارها، وحسبنا أن نقف هنا مع خلاصة هذا الفصل بأن نقرر أن القصة القرآنية ذات أثر سلوكي وتربوي فعال ، يعود على النفس البشرية بالتزكية والتطهير والتخلص من الرذائل والتحلي بالفضائل ، لأن قصص القرآن تمثل التطبيق العلمي للقيم الربانية في الواقع ، ويتمثل ذلك في سير أنبياء الله ورسله والصالحين من عباده ، ومن ثم يطلب من المسلم أن يحذو حذوهم في تحقيق منهج الله في حياته ، كما قال تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[4]، فالصبر والصدق واليقين والمحبة والرجاء والخوف والثقة بالله والتوكل على الله وغيرها من القيم الإسلامية والأعمال القلبية التي أبرزتها قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، من أهم ملامح منهج تزكية النفوس في الإسلام.[5]

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة حديث(٢٥١٠)

(٢) تيسير المنان في قصص القرآن أحمد فريد ٦٠-٦٣

(٣) القاسمي، مرجع سابق، ١٩٤٢/٦

(٤) سورة الأنعام آية : ٩٠

(٥) انظر : داوود ، منى بنت عبد الله، منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني .المملكة العربية السعودية:دار ابن حزم، ص ٢٧٧-٢٩١

الفصل الثالث

معالم منهج تزكية النفوس من خلال الحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات

يتناول هذا الفصل بيان اشتمال سورة المائدة على منهج متكامل لتزكية النفوس، أمرا ونهيا، مدحا وذما، ترغيبا وترهيبا، في تناسق بديع، وتنوع مشوق، يهدف إلى تطهير النفوس من الرذائل والخبائث، وتجميلها بمحاسن الصفات وكريم الأخلاق، وهذا ما تتناوله المباحث الآتية:

المبحث الأول : الحث على التقوى :

المطلب الأول : الأمر بالتقوى :

تكرر الأمر بالتقوى في سورة المائدة إحدى عشرة مرة[١] ، وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية منه، ومنه قوله ﷺ : "اتقوا النار ولو بشق تمرة"[٢] أي: اجعلوا بينكم وبينها وقاية من الصدقات وأعمال البر.

وقد اختلفت عبارات السلف في حقيقة التقوى ، فقال الراغب : التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، ويتم ذلك بترك بعض المباحات ، لقوله ﷺ : "الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبينهما مشبهات لا يعملها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه" الحديث[٣] .

وقال الجرجاني[٤] : "التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص ، وفي المعصية يراد

(١) انظر الآيات : ٢، ٤، ٧، ٨، ١١، ٣٥، ٥٧، ٩٣، ١١٢، ١٠٨، ٩٦.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة حديث(١٤١٧) ، ومسلم كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة حديث(١٠١٦)

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإيمان حديث(٥٢) ، ومسلم كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات حديث(١٥٩٩)

(٤) الجرجاني: هو علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف أبو الحسن الجرجاني ، الحسيني الحنفي ، عالم حكيم مشارك في أنواع العلوم ، من تصانيفه : التعريفات ، وشرح مواقف الإيجي ، توفي سنة ٨١٦هـ (الأعلام٥/١٥٩)

بها الترك والحذر ، وقال طلق بن حبيب : "التقوى أن تعمل بطاعة اللّه على نور من اللّه ترجو ثواب اللّه ، وأن تترك معصية اللّه على نور من اللّه تخاف عقاب اللّه" ،قال ابن القيم[1] : "وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى ، فإن كل عمل لابد من مبدأ وغاية ، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان ، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض ، لا العادة ولا الهوى ، ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك ، بل لابد أن يكون مبدؤه محض الإيمان ، وغايته ثواب اللّه تعالى ، وهو الاحتساب ، ولهذا كثيرا ما يقرن بين هذين الأصلين في مثل قوله ﷺ : "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"[2]. فقوله : "على نور من اللّه":إشارة إلى الأصل الأول وهو الإيمان الذي هو مصدر العمل،والسبب الباعث عليه،وقوله: "ترجو ثواب اللّه"إشارة إلى الأصل الثاني وهو الاحتساب،وهو الغاية التي لأجلها وقع العمل،ولها يقصد به"[3].

المطلب الثاني : ثمرات التقوى وأسبابها :

للتقوى ثمرات عالجة وآجلة :

منها : محبة اللّه كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[4]، ومنها معية اللّه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾[5]،ومنها حياة القلوب وتمييزها بين الحق والباطل

(١) ابن القيم : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي شمس الدين من أهل دمشق ، أحد كبار الفقهاء ، تتلمذ على ابن تيمية وانتصر له وسجن معه بدمشق ،من تصانيفه : الطرق الحكمية ، مدارج السالكين ، مفتاح دار السعادة ، توفي سنة٧٥١هـ (الأعلام ٦/٢٨١)

(٢) أخرجه البخاري كتاب صلاة التراويح باب فضل قيام رمضان حديث(٢٠٠٨) ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان حديث(٧٥٩)

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر،١٩٨٥م.الرسالة التبوكية.الأردن:مكتبة المنار،ط٣ ،ص١٤

(٤) سورة آل عمرن الآية:٧٦

(٥) سورة النحل الآية ١٢٨

والهدى والضلال ، كما قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[١]،ومنها تفريج الكروب ، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[٢]،ومنها سعة الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾[٣]،ومنها تيسير الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[٤]،ومنها أن التقوى تنجي من النار، ما قال تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾[٥]،ومنها أن التقوى هي الموجبة للجنة ،كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾[٦].

وللتقوى أسباب تحصل بها:

منها العلم بالله وأسمائه وصفاته ، ولذلك كثر اقتران في القرآن الكريم اقتران الأمر بالتقوى ببعض أسمائه الحسنى كما قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٧] .

ومن أسباب التقوى الاجتهاد في العبادة ، فإن التقوى هي ثمرة العبادة كما قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٨].

---

(١) سورة الأنفال آية:٢٩

(٢) سورة الطلاق آية :٢

(٣) سورة الأعراف آية :٩٦

(٤) سورة الطلاق آية :٤

(٥) سورة مريم الآيتان:٧١-٧٢

(٦) سورة مريم الآية :٦٣

(٧) سورة المائدة الآية :٧

(٨) سورة البقرة الآية:٢١

ومنها الدعاء كما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول : "اللهم آتِ نفسي تقواها"[1]،وكان يقول: " اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ".[2] [3]

المطلب الثاني :الأمر بالتعاون على البر والتقوى والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان:

وتمثل هذا في قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[4] .

قال ابن القيم : "وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ، فيما بينهم بعضهم بعضا ، وفيما بينهم وبين ربهم ، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين ، وهذين الواجبين ؛واجب بينه وبين خالقه ، وواجب بينه وبين الخلق .

فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والصحبة ، فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم ، تعاونا على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها ، وهي البر والتقوى اللذان هما جماع الدين كله، وإذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر ، إما تضمنا وإما لزوما،

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شر العمل(٢٧٢٢)

(٢) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شر العمل (٢٧٢١)

(٣) بدوي،عبد العظيم،٢٠٠٩م.إعلاء ذوي الأفئدة بأحكام سورة المائدة .القاهرة:دار ابن رجب،دار الفوائد، ط١،ص ١١٩-١٣٤ باختصاروتصرف يسير

(٤) سورة المائدة آية:٢

ودخوله فيه تضمنا أظهر ،لأن البر جزء مسمى التقوى ، وكذلك التقوى جزء مسمى البر.

ثم قال تعالى : ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ والإثم والعدوان في جانب النهي نظير البر والتقوى في جانب الأمر ، والفرق ما بين الإثم والعدوان كالفرق ما بين محرم الجنس ومحرم القدر ، فالإثم ما كان حراما لجنسه ، والعدوان ما حرم لزيادة في قدره وتعدي ما أباح الله منه، فالزنا وشرب الخمر والسرقة ونحوها : إثم، ونكاح الخامسة واستيفاء المجني عليه أكثر من حقه ونحوه: عدوان .

فالعدوان :هو تعدي حدود الله التي قال فيها :﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[١]، وقال في موضع آخر : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[٢]، فنهى عن تعديها في آية وعن قربانها في آية ، وهذا لأن حدوده سبحانه هي النهايات الفاصلة بين الحلال والحرام ، ونهاية الشيء تارة تدخل فيه فتكون منه، وتارة لا تكون داخلة فيه فيكون لها حكم المقابلة ، فبالاعتبار الأول نهى عن تعديها ، وبالاعتبار الثاني نهى عن قربانها"[٣].

المطلب الثالث : التقوى شرط لقبول العمل الصالح:

التقوى صفة كريمة ولها آثار مباركة منها قبول العمل الصالح ، كما قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٤]،قال ابن سعدي: "وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه

(١) سورة البقرة آية:٢٢٩

(٢) سورة البقرة آية:١٨٧

(٣) ابن القيم ، مرجع سابق ، ص١٠-١٧باختصار

(٤) سورة المائدة آية :٢٧

اللّه، متبعين فيه لسنة رسول اللّه ﷺ"[1].

قال القاسمي: "وفيه دليل على أن اللّه تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق"[2].

المطلب الرابع : إنما ينتفع المتقون بكلام الله تعالى :

كما قال تعالى : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾[3].

قال القاسمي: "أي : زاجرا عن ارتكاب المحارم والمآثم ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي لمن اتقى اللّه وخاف وعيده وعقابه، وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين ، لأنهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه"[4].

المطلب الخامس :التقوى سبب لتكفير السيئات ورفع الدرجات :

كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[5]، قال القاسمي: "وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ، ودلالة على سعة رحمة اللّه تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص ، وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى ، وأن الإسلام يجبّ ما قبله وإن جلّ ، وأن الكتابي لا يدخل الجنة مالم يسلم"[6].

قال ابن سعدي: "وهذا من كرمه وجوده، حيث ذكر قبائح أهل الكتاب ومعايبهم

(١) السعدي ، مرجع سابق ،ص٢٧٨

(٢) القاسمي ، مرجع سابق ، ١٩٤٣/٦

(٣) سورة المائدة آية: ٤٦

(٤) القاسمي ، مرجع سابق ، ٢٠١٤/٦

(٥) سورة المائدة آية: ٦٥

(٦) القاسمي ، مرجع سابق ، ٢٠٦٤/٦

وأقوالهم الباطلة، دعاهم إلى التوبة، وأنهم لو آمنوا بالله وملائكته، وجميع كتبه، وجميع رسله، واتقوا المعاصي، لكفر عنهم سيئاتهم ولو كانت ما كانت، ولأدخلهم جنات النعيم التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين"[١].

المطلب السادس :التقوى درجات متفاضلة :

كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[٢].قال القاسمي : "قال الطيبي: المعنى أنه ليس المطلوب من المؤمنين الزهادة عن المستلذات وتحريم الطيبات ،وإنما المطلوب منهم الترقي في مدارج التقوى والإيمان إلى مراتب الإخلاص واليقين ومعارج القدس والكمال ، وذلك بأن يثبتوا على الاتقاء عن الشرك ، وعلى الإيمان بما يجب الإيمان به ، وعلى الأعمال الصالحة لتحصيل الاستقامة التامة التي يتمكن بها إلى الترقي إلى مرتبة المشاهدة "أن تعبد الله كأنك تراه" وهو المعني بقوله تعالى: ﴿ وَّأَحْسَنُوا۟ ... ﴾ إلى آخر الآية، وبه ينتهي للزلفى عند الله ومحبته ، والله يحب المحسنين.

ثم ذكر أن الإحسان المذكور في الآية : إما إحسان العمل ، أو الإحسان إلى الخلق، أو إحسان المشاهدة المتقدم ، ولا مانع من الحمل على الجميع"[٣].

قال ابن سعدي: " لما نزل تحريم الخمر والنهي الأكيد والتشديد فيه، تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحريم الخمر وهم يشربونها،فأنزل الله هذه الآية، وأخبر تعالى أنه ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ص٢٩١
(٢) سورة المائدة آية:٩٣
(٣) القاسمي ، مرجع سابق ، ٢١٤٨/٦

ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ ﴾ أي: حرج وإثم ﴿فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ من الخمر والميسر قبل تحريمهما، ولما كان نفي الجناح يشمل المذكورات وغيرها، قيد ذلك بقوله: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: بشرط أنهم تاركون للمعاصي، مؤمنون بالله إيمانا صحيحا، موجبا لهم عمل الصالحات، ثم استمروا على ذلك. وإلا فقد يتصف العبد بذلك في وقت دون آخر. فلا يكفي حتى يكون كذلك حتى يأتيه أجله، ويدوم على إحسانه، فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق، المحسنين في نفع العبيد، ويدخل في هذه الآية الكريمة، من طعم المحرم، أو فعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه وتاب إلى الله، واتقى وآمن وعمل صالحا، فإن الله يغفر له، ويرتفع عنه الإثم في ذلك»[1].

المبحث الثاني : خشية الله تعالى من معالم منهج تزكية النفوس :

لأنه أساس التزكية وغايتها ، كما قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾[2] ، قال الألوسي:﴿فلا تخشوهم﴾ أن يظهروا عليكم، وهو متفرع عن اليأس ،﴿واخشون﴾ أن أحل بكم عقابي إن خالفتم أمري وارتكبتم معصيتي»[3].

قال ابن سعدي: "واليوم المشار إليه يوم عرفة، إذ أتم الله دينه، ونصر عبده ورسوله، وانخذل أهل الشرك انخذالا بليغا، بعد ما كانوا حريصين على رد المؤمنين عن دينهم،طامعين في ذلك.

فلما رأوا عز الإسلام وانتصاره وظهوره، يئسوا كل اليأس من المؤمنين، أن يرجعوا إلى دينهم، وصاروا يخافون منهم ويخشون، ولهذا في هذه السنة التي حج فيها النبي

(١) السعدي، مرجع سابق ، ص٢٩٩

(٢) سورة المائدة آية:٣

(٣) الألوسي، مرجع سابق ، ٣٢٨/٦

ﷺ سنة عشر حجة الوداع لم يحج فيها مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ أي: فلا تخشوا المشركين، واخشوا الله الذي نصركم عليهم وخذلهم،ورد كيدهم في نحورهم»[1].

المبحث الثالث :الشكر اعتقادا وقولا وعملا من معالم منهج تزكية النفوس:

كما قال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾[2]، قال ابن سعدي في فوائد الآية:» أنه ينبغي للعبد أن يتدبر الحِكَم والأسرار في شرائع الله، في الطهارة وغيرها ليزداد معرفة وعلما، ويزداد شكرا لله ومحبة له، على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة»[3].

قال الألوسي[4]: "﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ نعمته بطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه"[5].

المبحث الرابع :التوكل على الله وحده من معالم منهج تزكية النفوس:

كما أمر بذلك سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[6]،قال الألوسي: "﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ تعالى خاصة ﴿ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾ بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فإنه لا تؤثر من دونه ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ بالله تعالى، والمراد بهذا الإلهاب والتهييج وإلا فإيمانهم محقق ، وقد يراد بالإيمان التصديق بالله تعالى وما يتبعه من التصديق

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ص٢٦٥

(٢) سورة المائدة آية:٦

(٣) السعدي ، مرجع سابق ، ص٢٧١

(٤) الألوسي : هو محمود الآلوسي أبو الفضل من (آلوس) بالعراق ، له كتب منها تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع النثاني) توفي سنة ١٢٧٠هـ

(٥) الألوسي ، مرجع سابق ، ٣٥٨/٦

(٦) سورة المائدة آية :٢٣

بما وعده، أي:إن كنتم مؤمنين به تعالى مصدقين لموعده ،فإن ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما"[1].

قال ابن سعدي: "فإن في التوكل على الله - وخصوصا في هذا الموطن - تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء، ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله"[2].

المبحث الخامس : التوبة من معالم منهج تزكية النفوس:

جاء في السورة الكريمة الحث على التوبة ببيان حسن عاقبتها في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾[3]، قال ابن سعدي: » فيغفر لمن تاب فترك الذنوب، وأصلح الأعمال والعيوب«[4].

وقال الألوسي : "﴿ فَمَن تَابَ ﴾ من السراق إلى الله تعالى ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ ﴾ الذي هو سرقته، والتصريح بذلك لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته ﴿وَأَصۡلَحَ ﴾ أمره بالتفصي عن التبعات بأن يرد مال السرقة إن أمكن أو يستحل لنفسه من مالكه أو يتفقه في سبيل الله تعالى إن جهله ، وقيل: المعنى وفعل الفعل الصالح الجميل بأن استقام على التوبة كما هو المطلوب منه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ ﴾ يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة«[5].

وقد ورد الأمر بالتوبة لأنها سبب التخلص من آثار الذنوب التي تناقض تزكية

---

(١) الألوسي ، مرجع سابق ، ٣٩٢/٦

(٢) السعدي ، مرجع سابق ، ص٢٧٧

(٣) سورة المائدة آية : ٣٩

(٤) السعدي ، مرجع سابق ،ص٢٨١

(٥) الألوسي ، مرجع سابق ، ٤٣٠/٦

النفوس كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[1].

قال القاسمي : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه إليه من الاتحاد والحلول، فيرجعوا عن التمسك بالمتشابهات إلى القطعيات، فالاستفهام لإنكار الواقع واستبعاده ، فيه تعجب من إصرارهم ، ومدار الإنكار والتعجب عدم الانتهاء والتوبة معا .

أو معناه :ألا يتوبون ـ بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر ، وهذا الوعيد الشديد ـ مما هم عليه ، فمدارهما عدم التوبة عقب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة»[2].

المبحث السادس: العدل من معالم منهج تزكية النفوس :

وردت آيات في السورة الكريمة تأمر بالعدل وتمدح العادلين ،لأن العدل سبب التقوى ومظهرها ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[3].

قال الألوسي: "﴿ اعْدِلُوا ﴾ أيها المؤمنون في أوليائكم وأعدائكم ، واقتصر بعضهم على الأعداء بناء على ما روي أنه لما فتحت مكة كلف الله تعالى المسلمين بهذه الآية أن لا يكافئوا كفار مكة بما سلف منهم وأن يعدلوا في القول والفعل ﴿ هُوَ ﴾ راجع إلى العدل الذي تضمنه الفعل، وهو مطلق العدل الذي أشار إليه سبب

(١) سورة المائدة آية: ٧٤

(٢) القاسمي ، مرجع سابق ، ٦/٢١٠١

(٣) سورة المائدة آية: ٨

النزول، وإما العدل مع الكفار ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي أدخل في مناسبتها ،لأن التقوى نهاية الطاعة، وهو أنسب الطاعات بها فالقرب بينهما على هذا مناسبة الطاعة للطاعة"[1].

وبين سبحانه أن القسط مطلب شرعي يحبه الله تعالى ويأمر به كما في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾[2].

قال القاسمي: "أي مقتضى إيمانكم الاستقامة ، فكونوا مبالغين في للاستقامة باذلين جهدكم فيها لله ، وهي إنما تتم بالنظر في حقوق الله وحقوق خلقه فكونوا شهداء بالقسط أي بالعدل، لا تتركوه لمحبة أحد ولا لعداوة أحد، ولا يجرمنكم أي: لا يحملنكم ، شنآن أي: شدة عداوة قوم على ألا تعدلوا في حقهم ،اعدلوا هو ـ أي: العدل ـ أقرب للتقوى أي: لحفظ الأنفس أن تتجاوز حد استقامتها ، واتقوا الله أي: أن تبطلوا حقوقه أو حقوق عباده ، ولو بطريق تتوهمون فيه العدل"[3].

قال ابن سعدي: "﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى"[4].

وقال تعالى : ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٤٢﴾[5].

(١) الألوسي ، مرجع سابق،٦/٣٥٩
(٢) سورة المائدة آية:٨
(٣) القاسمي ، مرجع سابق ، ٦/١٩٠٠
(٤) السعدي ، مرجع سابق ، ص٢٧٢
(٥) سورة المائدة آية : ٤٢

قال القاسمي: »أي : بالعدل الذي أمرت به ، وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل «إن اللّه يحب المقسطين» أي:العادلين فيما ولوا وحكموا ،روى مسلم عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص قال :قال رسول اللّه ﷺ : "إن المقسطين عند اللّه على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"[1].

قال ابن سعدي: "حتى ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم.

وفي هذا بيان فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن اللّه تعالى يحبه"[2].

المبحث السابع : الصدق من منهج تزكية النفوس :

جاء التنبيه على فضل الصدق في قوله تعالى :﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾[3] ، قال القاسمي :﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾ لأنه يوم الجزاء، والمراد بـ﴿ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ المستمرون على الصدق في الأمور الدينية ، التي معظمها التوحيد ، الذي الآية في صدده ،﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾ لصدقهم، ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ تحقيقا لصدقهم، فلم يسخطوا لقضائه في الدنيا»[4].

قال ابن سعدي: "﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ مبينا لحال عباده يوم القيامة، ومَن الفائز منهم ومَن الهالك، ومَن الشقي ومَن السعيد، ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾ والصادقون

(١) القاسمي، مرجع سابق، ٦/١٩٩٣، والحديث أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب كراهة الإمارة بغير ضرورة حديث(١٨٢٧)

(٢) السعدي، مرجع سابق، ص٢٨٣

(٣) سورة المائدة آية :١١٩

(٤) القاسمي، مرجع سابق، ٦/٢٢٢٧

هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدي القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم وافترائهم، وثمرة أعمالهم الفاسدة"[1].

المبحث الثامن: الذنوب سبب للعقوبات المادية والمعنوية، العاجلة والآجلة:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾[2].

قال ابن سعدي:» ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن اتباعك واتباع الحق ﴿فَٱعْلَمْ﴾ أن ذلك عقوبة عليهم وأن الله يريد ﴿أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ فإن للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أن يبتلى العبد ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه»[3].

المبحث التاسع: البعد عن المعاصي والمآثم من منهج تزكية النفوس:

البعد عن المعاصي شرط لازم لتزكية النفوس، ولهذا جاءت الإشارة إلى سوء عاقبة المعاصي وأثرها في السلوك السيء للإنسان كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾[4].

قال ابن سعدي:» استمر تعالى يعدد معايبهم، انتصارا لقدحهم في عباده المؤمنين، فقال: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: من اليهود ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ أي:

---

(١) السعدي، مرجع سابق، ص٣٠٨

(٢) سورة المائدة آية: ٤٩

(٣) السعدي، مرجع سابق، ص٢٨٦

(٤) سورة المائدة آية: ٦٢

يحرصون، ويبادرون المعاصي المتعلقة في حق الخالق والعدوان على المخلوقين ﴿ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَ ﴾ الذي هو الحرام. فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يفعلون ذلك، حتى أخبر أنهم يسارعون فيه، وهذا يدل على خبثهم وشرهم، وأن أنفسهم مجبولة على حب المعاصي والظلم. هذا وهم يدعون لأنفسهم المقامات العالية. ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ وهذا في غاية الذم لهم والقدح فيهم»[1].

المبحث العاشر : البعد عن الفساد والإفساد من منهج تزكية النفوس:

من مقاصد القرآن الكريم إصلاح الخلق وهدايتهم إلى أحسن العقائد والأعمال والأخلاق ، وضد ذلك سعي في الفساد والإفساد، وهو أمر مذموم شرعا وعقلا ، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى عن اليهود : ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤ ﴾[2].

قال القاسمي : ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ ﴾ أي : للفساد أو مفسدين أي : يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وتعويق الناس عنه وإثارة الفتن، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ أي: من كان الإفساد صفته»[3].

قال الألوسي : " ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ بل يبغضهم ولذلك أطفأ نائرة فسادهم ، واللام إما للجنس وهو داخلون فيه دخولا أولا ، وإما للعهد ووضع المظهر موضع ضميرهم للتعليل وبيان كونهم راسخين في الإفساد"[4].

مما يؤكد أن منهج تزكية النفوس يقوم على الصلاح والإصلاح لأنه مما يحبه الله تعالى ويأمر به، ويحذر ويباعد من الفساد والإفساد لأنه مما يبغضه الله تعالى وينهى عنه .

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ص٢٩٠

(٢) سورة المائدة آية: ٦٤

(٣) القاسمي ، مرجع سابق ، ٦/٢٠٦٣

(٤) الألوسي ، مرجع سابق ، ٦/٤٩٢

الخـاتـمـة

في خاتمة البحث أحمد الله تعالى لما منّ به عليّ من التوفيق والإعانة ، وأسأله سبحانه القبول والإثابة ، ويمكن هنا أن أذكر بعض أهم النتائج التي توصلت إليها :

أولاً : تزكية النفوس من أعظم مقاصد الدين ، ومن أجلّ وظائف الأنبياء والمرسلين، ومن أهم المطلوبات من أتباعهم المؤمنين .

ثانياً : تزكية النفوس هي تنقية النفوس من الآفات ، وتجميلها بالطيبات ، إخلاصا لله تعالى ، واقتداء برسول الله ﷺ ، بسلوك الطرق الشرعية ، واجتناب السبل البدعية.

ثالثاً : الدين كله سبيل للتزكية ، فالشريعة الإسلامية بما فيها من اعتقادات وعبادات وأخلاق وأحكام شرعية في المجالات المختلفة كلها طريق لتزكية النفوس .

رابعاً : اهتم القرآن الكريم بتزكية النفوس اهتماما كبيرا يتمثل بما اشتملت عليه آياته الكريمة من معالم منهج متكامل لتزكية النفوس .

خامساً : ترسيخ الإيمان أقوى سبب لتزكية النفوس ، وذلك لما لأركان الإيمان الستة من آثار عظيمة في عقائد المؤمنين وأخلاقهم .

سادساً : السلوك يتبع العقائد والتصورات ،واستقامة العقيدة يستلزم استقامة السلوك غالبا .

سابعاً : القصة القرآنية ذات أثر سلوكي وتربوي فعال يعود على النفس البشرية بالتزكية والتطهير .

ثامناً : اشتملت سورة المائدة على منهج متكامل لتزكية النفوس وحث المؤمنين على التحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ، وذلك بما ورد في آياتها من أمر وخبر ، ووعد ووعيد ، وترغيب وترهيب ، في تناسق بديع ، وتكامل عجيب .

قائمة بأهم المراجع

١. الأشقر،عمر سليمان،١٩٩٣م. الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة.الأردن : دار النفائس،ط١.

٢. الأشقر،عمر سليمان،١٩٩٠م. القضاء والقدر .الكويت : دار النفائس،ط١.

٣. الأصفهاني ، الحسين بن الفضل ،١٩٩٢م.مفردات ألفاظ القرآن.دمشق:دار القلم ،ط١.

٤. الألباني،محمد ناصر الدين ،١٩٧٩م. سلسلة الأحاديث الصحيحة. بيروت:المكتب الإسلامي،ط٢.

٥. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، ٢٠٠٥ .روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.القاهرة :دار الحديث

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل ،٢٠٠٢م. صحيح البخاري.بيروت:المكتبة العصرية

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل،١٩٨٥م.الأدب المفرد .بيروت:عالم الكتب. ط٢.

٨. بدوي،عبد العظيم،٢٠٠٩م.إعلام ذوي الأفئدة بأحكام سورة المائدة. القاهرة:دار ابن رجب،دار الفوائد، ط١.

٩. البريكان، إبراهيم بن محمد ،١٩٩٤م.القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف.الرياض : دار الهجرة ،ط٢.

١٠. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم،مجموع الفتاوى .المملكة العربية السعودية

١١. الحليبي، أحمد بن عبد العزيز .المسؤولية الخلقية والجزاء عليها ، الرياض: مكتبة الرشد

١٢. الحمود، محمد بن حمد،١٩٩٢م.النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى. الكويت: مكتبة الإمام الذهبي،ط١.

١٣. الحوشاني :عبد الله بن رشيد،١٩٩٦م.منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى . الرياض:دار إشبيليا ،ط١.

١٤. خلدون، عبد الرحمن بن محمد .مقدمة ابن خلدون .بيروت:دار الجيل.

١٥. خير فاطمة ، محمد ،٢٠٠٣م.منهج الإسلام في تزكية النفس .دمشق:دار الخير للطباعة،ط١.

١٦. داوود ، منى بنت عبد الله، منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني .المملكة العربية السعودية:دار ابن حزم.

١٧. زيدان، عبد الكريم،١٩٩٩م.أصول الدعوة.بيروت:مؤسسة الرسالة ،ط٩

١٨. السعدي،عبد الرحمن بن ناصر،٢٠٠٠م.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي،ط٥.

١٩. الشطي،سليمان ناصر ،٢٠٠٣م.قصص القرآن الكريم.الكويت:مكتبة المنار ،ط١.

٢٠. الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم ، ١٩٧٥م، الملل والنحل ، بيروت : دار المعرفة ، ط٢

٢١. الطبري، محمد بن جرير،١٩٩٢م. جامع البيان في تأويل القرآن . بيروت: دار الكتب العلمية،ط١.

٢٢. عاشور، محمد الطاهر .تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر ، الدار الجماهيرية للنشر

٢٣. العبسي، عبد بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني،١٣٨٥هـ.كتاب الإيمان .الكويت:دار الأرقم .
٢٤. العثيمين، محمد بن صالح، ١٩٩٨م .شرح ثلاثة الأصول،.المملكة العربية السعودية:دار الثريا للنشر ط٤.
٢٥. ابن فارس،أحمد بن فارس بن زكريا،١٩٦٩م.معجم مقاييس اللغة. القاهرة:مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،ط٢.
٢٦. فريد، أحمد، ١٤٠٩هـ .الثمرات الزكية في العقائد السلفية .القاهرة:مكتبة التوعية الإسلامية، ط١
٢٧. فريد، أحمد .التزكية بين أهل السنة والصوفية .
٢٨. فريد، أحمد فريد، ١٩٨٥م.تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف. بيروت:دار القلم،ط١.
٢٩. فريد، أحمد. تيسير المنان في قصص القرآن .القاهرة:دار ابن الجوزي.
٣٠. الفيروز آبادي،محمد بن يعقوب،١٩٨٧م.القاموس المحيط . بيروت : مؤسسة الرسالة، ط٢.
٣١. الفيومي،أحمد بن محمد بن علي،١٩٨٧م.المصباح المنير .بيروت: مكتبة لبنان .
٣٢. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل.القاهرة:دار إحياء الكتب العربية
٣٣. القحطاني، سعيد بن علي ، ١٤٠٩هـ ، من أحكام سورة المائدة ، الرياض ، مؤسسة الجريسي ط١

٣٤. القطان، مناع ،١٩٨١م.مباحث في علوم القرآن .بيروت:مؤسسة الرسالة ط٨.

٣٥. قطب،سيد ١٩٨٢م. في ظلال القرآن .بيروت:دار الشروق ط١٠.

٣٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر،١٩٨٥م.الرسالة التبوكية.الأردن:مكتبة المنار، ط٣.

٣٧. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر.مفتاح دار السعادة.بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٨. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. بدائع الفوائد . بيروت: دار الكتاب العربي.

٣٩. ابن كثير، إسماعيل ،١٩٨٢م. تفسير القرآن العظيم .بيروت:دار المعرفة .

٤٠. كرزون،أنس أحمد .منهج الإسلام في تزكية النفس .بيروت:دار ابن حزم

٤١. اللاحم ، سليمان بن إبراهيم،٢٠٠٣م، تفسير آيات الأحكام في سورة المائدة،الرياض، دار العاصمة، ط١

٤٢. محمد، أبو البراء سعد، ١٤١٠هـ . تزكية النفس . المملكة العربية السعودية: مطابع الفرزدق التجارية.

٤٣. مطاوع،سعيد عطية، ٢٠٠٦م. الإعجاز القصصي في القرآن.القاهرة:دار الآفاق العربية،ط١.

٤٤. ابن منظور ، محمد بن مكرم،١٤٠٥هـ.لسان العرب،إيران:نشر أدب الحوزة.

٤٥. الميداني، عبد الرحمن حسن، ١٩٩٦م.الأخلاق الإسلامية.دمشق:دار القلم ط٤.

٤٦. ابن النجار، محمد بن إسماعيل ١٩٩٣هـ.شرح الكوكب المنير ، تحقيق د. محمد الزحيلي، د.نزيه حماد ، الرياض: مكتبة العبيكان

٤٧. النووي،يحيى بن شرف،٢٠٠٢م،المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج،بيروت:دار ابن حزم،ط١.

٤٨. هراس،محمد خليل،شرح القصيدة النونية للإمام ابن القيم.القاهرة:دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

٤٩. ياسين، محمد نعيم،١٩٣٨م.الإيمان :أركانه، حقيقته، نواقضه.الكويت:مكتبة الفلاح،ط١

تزكية النفوس من أعظم مقاصد الدين، ومن أجل وظائف الأنبياء والمرسلين، ومن أهم المطلوبات من أتباعهم المؤمنين، وتزكية النفوس هي تنقية النفوس من الآفات، وتجميلها بالطيبات، إخلاصا لله تعالى، واقتداء برسول الله، بسلوك الطرق الشرعية، واجتناب السبل البدعية.

وقد اهتم القرآن الكريم بتزكية النفوس اهتماماً كبيراً يتمثل بما اشتملت عليه آياته الكريمة من معالم منهج متكامل لتزكية النفوس، وهذا البحث الموجز يسلط الضوء على بعض جوانب هذه القاعدة الشرعية من خلال دراسة آيات سورة المائدة لبيان معالم المنهج القرآني المتكامل لتزكية النفوس وحث المؤمنين على التحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات..

انطلاقاً من العمل بقول الله تعالى : (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)، وإيمانا بضرورة نشر الوعي بقيم القرآن الكريم، قام مركز آسية للاستشارات التربوية والتعليمية، بإشراف د. أسماء بنت راشد الرويشد، بوضع تصور متكامل لبرنامج (تربوي - إعلامي - تقني) تحت اسم (فاستمسك) وشعار (دعوة للتمسك بالقرآن الكريم)، ليكون بمثابة الدعوة العملية للرجوع إلى قيم القرآن الكريم، وتفعيلها على الوجه الأمثل في حياتنا ومجتمعنا.

رؤية البرنامج:

صناعة الشخصية المسلمة المتكاملة.

أهداف البرنامج:

١. تنمية الإدراك المعرفي والتطبيق العملي لقيم القرآن الكريم من خلال وسائل علمية وعملية متنوعة.
٢. إشاعة مفهوم التنمية الفردية والمجتمعية وتعزيزها من منطلق القيم القرآنية.
٣. إذكاء القدرة على التأمل والتفكير الإبداعي لإيجاد الحلول العملية المنبثقة من قيم القرآن وتوجيهاته.

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٣٩٩٦
ردمك: ٣ - ١٩٩٤ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

مركز آسية
للاستشارات التربوية والتعليمية
المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب : 355954 الرمز : 11383

هاتف موحد : 920000192
فاكس : 012695693
البريد الإلكتروني info@asyeh.com

www.asyeh.com